خريطة المقاومة العراقية ومواجهة الاحتلال

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة "**المقاومة العراقية**" باعتبارها تجسيدًا عمليًا لاتجاهات قطاعات أساسية مهمة من الرأي العام العراقي إزاء قضية الاحتلال الأمريكي والممارسات المتعلقة به..

والواقع إن المقاومة التي شهدها العراق في أعقاب سقوط مدينة بغداد مباشرة –ومازالت مستمرة ومتصاعدة ساعة كتابة هذه الدراسة– تعتبر القضية المُثارة منذ ذلك الوقت، والأكثر أهمية في تحديد مصير العدوان والاحتلال الأمريكي للعراق خاصة، وربما مصير المشروع الأمريكي في المنطقة العربية والإسلامية بوجه عام[1].

تنطلق الدراسة من **مسلَّمة أساسية** مفادها أن "**الاحتلال**" يستدعي بداية نشأة "**المقاومة**" كرد فعلٍ له، والخبرة التاريخية ناطقة بذلك؛ فلم يوجد "**احتلال**" إلا ووجدت معه "**مقاومة**"، كما أنهما متناقضان من حيث "**الطبيعة**" و"**الاتجاه**"؛ فإن استمرار أحدهما يستدعي القضاء على الآخر في صراع مصيري؛ فما من مقاومة عرفها تاريخ أي شعب من الشعوب، إلا وانتهت بنوع وشكل من أشكال الانتصار على الاحتلال؛ وتحقيق الاستقلال ..

وتسعى الدراسة –بهذا الصدد– إلى انجاز **هدف رئيس** يتمثل في استكشاف واقع هذه المقاومة، عبر محاولة توصيف الملامح الأساسية لها في جوانبها الفكرية، والتنظيمية، والعملياتية..إلخ، ومن ثم فإن هذه الدراسة تُصنف منهجيًا في إطار الدراسات الكشفية أو الاستطلاعية Exploratory, Pilot " Study"؛ وهي نوعية مهمة في بابها؛ نظرًا لجدة موضوعها، وكونها ما زالت حالة حية ومثارة باستمرار وبشكل يومي[2]، إضافة إلى ندرة –إن لم يكن انعدام– الدراسات الميدانية الجادة عنها، وبالتالي فإنه لكي نحقق الأهداف الكشفية لهذه الدراسة؛ فلا بد من تحديد قضية الدراسة علميًا عبر طرح مجموعة من التساؤلات الأساسية، تأتي الدراسة كمحاولة للإجابة عنها.

تتمحور **قضية الدراسة** –إذن– حول "**المقاومة العراقية**"؛ لكونها تعكس اتجاهات قطاعات من الرأي العام العراقي إزاء قضية الاحتلال الأمريكي، وتمثل تجسيدًا عمليًا لقناعات ومواقف شرائح مهمة من هذا الرأي العام. وفي هذا الصدد تحاول الدراسة وضع هذه القضية في السياق التأصيلي النظري؛ والتي يتم بصددها التمييز بين خمسة مفاهيم أساسية في نظرية الرأي العام يمكن أن نصوغها فيما يتعلق بموضوعنا في شكل مجموعة من التساؤلات علي النحو التالي:

(1) الإدراكات Perceptions المختلفة بصدد القضية:

وتدور حول الإجابة عن السؤالين: ماذا؟؟ ومتي؟؟ومن ثم فان **التساؤل بماذا**؛ يدور حول ما تواجهه قوات الاحتلال في العراق (أي توصيفه وطبيعته) على النحو الذي تدركه كافة الأطراف وبالذات الرأي العام العراقي؛ الأمر الذي يتعلق بما يمكن أن نطلق عليه قوة وحُجية المفاهيم **"Power of Terminology"**؛ فثمة مجموعة من المفاهيم يتم تداولها لتوصيف وتحديد طبيعة ما يجري؛ والتي تعكس إدراكات الأطراف المختلفة من قبيل: "الإرهاب"، و"**الحرب النظامية**"، و"**العمليات العسكرية**"، و"**التمرد أو العصيان** "، و"**حرب العصابات**"، و"**المقاومة الوطنية**.. إلخ"، وكذلك يتعلق بموضع وموقع "**المفهوم**"

(الذي يعبر عن الظاهرة التي تحدث في العراق) من ظاهرة "**الرأي العام Public Opinion**"، وتحديدًا من المظاهر العنيفة للظاهرة والتي تفصح فيها عن نفسها إزاء مواقف وأحداث مصيرية محددة؛ تلك التي يرتفع فيها العصيان السياسي**Political disobedience** إلى المقاومة المسلحة. وهذا ما نتناوله في المبحث الأول من الدراسة.

أما **التساؤل بـ"متى؟"**؛ فهو يدور توقيت ظهور "**المقاومة العراقية**" وبروزها، وتوقيت إدراكها علي هذا النحو، ودلالة هذا الأمر؛ فلقد كان ظهورها السريع في أعقاب الاحتلال مباشرة وفور سقوط مدينة بغداد يعد "**الواقعة**" و"**الحادثة**" الأبرز طيلة عام 2003، وما بعدها، وحتى الوقت الحالي؛ فلقد أثارت التساؤل حول ما إذا كانت هذه المقاومة تعبيرًا عن ردود أفعال طبيعية تجاه الاحتلال الأمريكي بشكل مباشر وسريع؟ أم أنها كانت موضع إعداد، وتنظيم مسبق، وتمثل وتعكس نوعًا من الاستمرارية لما كان موجودًا قبلها من حالة حرب؟؟ يبدو هذا التساؤل مشروعًا بسبب "**توقيت**" الظهور السريع للمقاومة، مقارنة بما حدث قبله مباشرة من سقوط درامي وسريع أيضًا لمدينة بغداد ودون مقاومة؛ وهو الأمر الذي يمثل نوعًا من المفارقة الواضحة التي تحتاج نوعًا محددًا من التحليل والتفسير العلمي؛ وهذا ما نتناوله في المبحث الثاني من هذه الدراسة.

(2) الاتجاهات Trends & Attitudes :

وتدور حول الإجابة عن السؤال: لماذا ثارت الأحداث والوقائع من وجهة نظر أطرافها؟؟ وبالتالي فإن **التساؤل** يدور حول الاتجاهات المختلفة إزاء قضية المقاومة العراقية داخل الرأي العام العراقي؛ باعتبارها قضية مثارة بشكل شبه يومي؛ الأمر الذي يجعلها نقطة استقطاب دائم لهذه الاتجاهات، ويطرح التساؤل: لماذا المقاومة بداية؟ وما هي استراتيجية المقاومة العراقية؟ وما هي أهدافها الأساسية؟ وما هو برنامج تلك المقاومة العملي في مختلف المراحل؛ سواء في ظل الاحتلال، أو في مرحلة ما بعد الاحتلال؟ أي لماذا قامت حركات المقاومة في العراق؟ وتحديدًا ما هي أهدافها، واستراتيجياتها، وبرامجها المختلفة؟ وذلك من زاوية رؤية هذه الحركات لما تقوم به، ورؤية قطاعات الرأي العام العراقي، وتقييم الدراسة لذلك.

ورغم صعوبة الوصول إلى إجابات واضحة ومحددة في هذه المرحلة من المقاومة التي لم يتعد عمرها العام والنصف ساعة كتابة هذه الدراسة؛ والذي هو نفسه عمر الاحتلال؛ ولكن الدراسة سوف تسعى للوصول إلى الملامح الأساسية لذلك أيضًا؛ من خلال تحليل خطابها السياسي والديني المتضمن في التصريحات والبيانات الصادرة عن قوة وتنظيمات المقاومة العراقية بمختلف أطيافها السياسية، **وسوف نتناول ذلك في المبحث الثالث من الدراسة.**

(3) الأحداث والسلوكيات Behaviors& Events:

وتدور حول الإجابة عن السؤال: كيف برزت الأفعال في شكل أحداث وسلوكيات عملية ميدانية؟؟ **ومن ثم فإن التساؤل** كيف برزت عمليات المقاومة العراقية كوقائع وأحداث على الأرض في مواجهة القوات المحتلة؟؟ وكيف تطورت من زاوية آلياتها وتقنياتها المختلفة مع مرور الوقت في سبيل تحقيق أهدافها؟؟

أي إن الأمر يدور حول ديناميات عمليات المقاومة العراقية على الأرض، وتحديد الملامح الأساسية لتطورها من الناحية العملياتية، ومن زاوية تكتيكاتها المختلفة، وكيفية تطور هذه العمليات ميدانيًا من الناحيتين "**الكمية**" و"**النوعية**"؛ الأمر الذي يقتضي رصدًا لتطور هذه العمليات، وفهمًا للنقلات النوعية الحادثة في إطارها؛ ومن ثم استكشاف البيئة

التي تحدث فيها هذه العمليات؛ أي "**الوسط**" الذي يتفاعل معها سلبًا أو إيجابًا: ماهيته تحديدًا وملامحه الأساسية.

وفي هذا الصدد يمكن أن نقوم بعملية تصنيف أولية لهذه العمليات لنرصد ملامح تطورها، وكذلك نحدد المعايير التي على أساسها يمكن أن نقوم بعملية التصنيف، وسوف نتناول ذلك في المبحث الرابع من الدراسة.

(4) المحددات والأحكام Determinations & Judgments:

وتدور حول الإجابة عن السؤال: مَن يفجر القضية والأحداث؟؟ أي إن **التساؤل** يدور حول دلالات استمرارية المقاومة العراقية وتطورها من الناحيتين الكمية والنوعية؛ وهو الأمر الذي جعل منها قضية مثارة بشكل دائم وحالة يومية يتبلور حولها الرأي العام العراقي؛ ومن ثم يطرح السؤال: من يقاوِم؟ فالقوى المقاوِمة ما زالت مجهولة بالنسبة للكثير من الباحثين؛ فالفعل المقاوِم هو الذي يتطور كميًا ونوعيًا؛ أما القوى والتنظيمات التي تقوم به أو تقف خلف تطوره واستمراريته وتصاعده؛ فهي موضع هذا التساؤل الذي يتمحور حول **تحديد ماهية خريطة قوى المقاومة العراقية الفاعلة وطبيعتها**. وسنحاول الوصول إلى ذلك عبر تحليل مضمون خطابها الإعلامي والسياسي المتضمن في بياناتها المختلفة.

وكذلك سنحاول معرفة القوى الداعمة للمقاومة في الساحة العراقية بمختلف أطيافها، كما نثير -بهذا الصدد- معادلة العلاقة بين الداخل والخارج بصدد هذه القضية. وهذا هو المبحث الخامس من هذه الدراسة.

(5) الفعالية والتنبؤ بالمستقبل Effectiveness & Predications:

فالفعالية تدور حول الإجابة عن **التساؤل** حول ماهية البيئة التي تحدث فيها عمليات المقاومة، ومدي تفاعلها سلبًا أو إيجابًا مع تلك العمليات؛ وبالتالي تأثيرها على المقاومة ذاتها، وعلى تطورها وتحقيقها لأهدافها المستقبلية. وفي هذا الصدد نطرح السيناريوهات المستقبلية المتصورة للمقاومة؛ التي تمثل امتدادًا -بشكل أو بآخر- للواقع الحالي للمقاومة (ماهيتها، شروطها، ومحدداتها الأساسية)، وقبل ذلك يجب التساؤل حول الشروط الحاكمة لها، ومواقف الأطراف المختلفة.

ويمكن في هذا الصدد أن نتصور العديد من السيناريوهات؛ ولكننا نركز علي أربعة منها تطرح العديد من التساؤلات؛ وهذا نتناوله في المبحث الأخير من هذه الدراسة.

وهكذا سنحاول تقديم نوعٍ من الإجابات المحددة على هذه التساؤلات المكونة لعناصر ظاهرة الرأي العام ونظريته في مباحث هذه الدراسة...

المبحث الأول- الرأي العام المقاوم: تأصيل نظري معرفي لظاهرة المقاومة الشعبية المسلحة

تكمن نقطة البداية في عملية التأصيل النظري لظاهرة الرأي العام المقاوم في تحديد الإجابة عن التساؤل عن؛ ماهية ما تواجهه القوات الأمريكية والقوى المتحالفة معها "المحتلة" للعراق، وطبيعته، وتحديد ماهية المفاهيم التي يمكن من خلالها توصيفه، وفهمه، وتحليله، وماهية الإطار النظري العام الذي يمكن من خلاله تأصيل هذه الظاهرة علميًا.

تتعدد الإجابات المقدمة لهذه التساؤلات من مختلف القوى الفاعلة في ساحة العراق -إلى درجة التناقض- وذلك توصيفًا لما تواجهه قوات الاحتلال؛ مستخدمة عدة مفاهيم من قبيل: الإرهاب "**Terrorism**"، والتمرد أو العصيان "**Insurgence**"،

وحرب العصابات "**Guerrilla**"، والحرب النظامية "**Conventional war**"، و"المقاومة الوطنية "**National Resistance**"[3]؛ والواقع إن تحديد الظاهرة والإشارة إليها عبر استخدام مفهوم محدد يرتبط بما يُطلق عليه "**قوة المفاهيم أو حجيتها The power of Terminology**" من قبل الأطراف أو القوى التي تستخدمه؛ ويعني ذلك من الناحية المعرفية على الأقل ثلاثة أمور[4]:

الأول– يكشف اختيار مفهوم معين –للتعبير عن الظاهرة– عن مجموعة من التحيزات السياسية، والمواقف المحددة مما يحدث ويقع في العراق؛ فمثلاً رؤية الإدارة الأمريكية محملة بمضامين سياسية يتم توظيفها في سياقات مختلفة؛ من أنها جاءت للعراق حاملة "**رسالة**" التحرير من "**الاستبداد**" و"**الديكتاتورية**"؛ ومن ثم فإن من يقف في مواجهتها يقوم بـ"**تعطيل**" هذه المهمة، وبالتالي فهم مجموعة من "**الإرهابيين**" و"**المخربين**"، ويقومون بعمليات "**إرهابية**"، و"**انتحارية**".

الثاني– يمثل اختيار مفهوم محدد لتوصيف ما يحدث في العراق –في مواجهة قوات الاحتلال– "تحديدًا معينًا لطبيعة الحلول المقترحة للقضية أو المشكلة"؛ فوصف ما يجري في العراق –كما ترى الإدارة الأمريكية– بأنه "**إرهاب**"، ويقف وراءه أنصار النظام السابق –خاصة في بدايات العمليات– يعني توجُّهًا معينًا لحل القضية عبر القضاء عليهم؛ ومن ثم فقد ساد اعتقاد لدى الإدارة الأمريكية أن مقتل عدي وقصي (ابني صدام حسين)، وبعد ذلك القبض على صدام؛ سوف يؤدي إلى هدوء الوضع في العراق؛ وهو أمر تكفلت الأحداث بعد ذلك بإثبات عدم صحته، وأن المقاومة في تيارها العام لا علاقة لها بصدّام ونظامه.

الثالث– قد يقود اختيار مفهوم معين لتحديد ما يجري في العراق وتوصيفه إلى تشخيص غير سليم؛ ومن ثم يستدعي طريقة خاطئة للتعامل معها. ولعل هذا هو الحادث من قبل مختلف الأطراف في الساحة العراقية في الوقت الحالي؛ فالإشكالية أعمق من أن تكون رديًا للأوضاع الأمنية، ومسألة التركيبة العراقية والسكانية وكيفية تمثيلها .. إلخ.

ودون الدخول في تعريفات نظرية ليس هنا موضع تفصيلها؛ فإن الدراسة تذهب إلى أن ما تواجهه "**قوى الاحتلال Occupation Forces**" هو نوع من "**المقاومة الوطنية National Resistance**"، ساعية للتحرر من الاحتلال؛ وهو مفهوم "قانوني/سياسي" محدد، فضلاً عن كونه دقيقًا ومضبوطًا، ومعبرًا بوضوح عن طبيعة ما يجري في العراق منذ أن وقع تحت الاحتلال، وحتى الوقت الحالي؛ حين كتابة هذه الدراسة.

ويشير مفهوم المقاومة الوطنية المسلحة للاحتلال إلى "**عمليات استخدام القوة المسلحة أو التهديد باستخدامها ضد قوات الاحتلال العسكري أو قوى إمدادها المباشرة وغير المباشرة (التي تؤدي إلى تقويتها؛ وبالتالي نجاح عملية الاحتلال) ويكون ذلك بهدف إلحاق أي قدر من الخسائر بها؛ الأمر الذي قد يدفعها إلى "الانسحاب أو التفكير فيه؛ مما يعني عدم تحقيق أهدافها جزئيًا أو كليًا**".

كما أن هذا المفهوم يصف الحالة العراقية؛ حيث تنخرط أعداد كبيرة بشكل متزايد من مجموعات سياسية ودينية في عمليات ذات طبيعة قتالية وعنيفة واسعة الانتشار؛ لمقاومة وتحدي وإزاحة الوجود والاحتلال الأمريكي في العراق.

يحتاج هذا التوصيف المعرفي للمقاومة في العراق لمزيد من الإيضاح والتحديد؛ لرصد ملامح تطورها، والإجابة –ولو جزئيًا– على التساؤل: بكيف؟ الأمر وذلك يسهم بدوره في تحديد وبلورة المفهوم. وهذا هو ما نرصده في السطور التالية[5].

– بدأت العمليات المسلحة التي تقوم بها قوى المقاومة في العراق –من حيث الشدة– "**منخفضة الحدة Low Level**"؛ إذ كان معدل العمليات اليومي في البدايات هو اثنتا عشرة عملية عسكرية، ارتفعت تدريجيًا لتصل إلى قرابة الضعف في الوقت الحالي، وهي آخذة في التزايد؛ حتى إن البعض يري أن المقاومة بدأت تدخل "مرحلة حرب الشوارع". وكانت حصيلة الضحايا –ما بين قتلى وجرحى– في البداية ضعيفة، ومع مرور الوقت تصاعدت. وحسب المصادر الرسمية الأمريكية؛ فإن معدل القتلى اليومي بين جنود الاحتلال يتراوح بين اثنين وثلاثة أفراد، وأضعاف ذلك من بين العراقيين الذين يُستهدفون للاعتقاد بأنهم متعاونون مع قوات الاحتلال أو مؤسسات الحكومة الانتقالية؛ التي يُنظر إليها –على نحو واسع– على أنها من صنائعه، وثمة مصادر متعددة ترجح ارتفاع عدد جنود الاحتلال القتلى إلى أضعاف الأرقام المعلنة.

والذي يلفت الانتباه أن ثمة تعتيمًا إعلاميًا متعمدًا –عبر رقابة صارمة– حول حجم خسائر قوات الاحتلال الأمريكي من جراء عمليات المقاومة العراقية. ويرجع هذا التعتيم في أحد أبعاده إلى طبيعة تكوين القوات الأمريكية، وما تفرضه الإدارة حولها من رقابة؛ فوفقًا للكثير من المصادر فإن أعدادًا كبيرة من هذه القوات هم من الذين "**وُعدوا**" بالحصول على الجنسية الأمريكية أو الـ"**Green Card**" لقاء مشاركتهم في العمليات العسكرية، أو من المتعاقدين مع القوات الأمريكية أو من الجنود المرتزقة، وغالبًا لا تعلن الإدارة الأمريكية عن مقتل هؤلاء؛ إذ يقتصر هذا الإعلان على الجنود الأمريكيين المحترفين فقط من المواطنين. وحتى بالنسبة لهؤلاء؛ فإن هناك من يقول بضرورة التأكد من الأرقام المعلنة، وينبغي مضاعفتها؛ بل إن البعض يرى أن هناك "**مقابر جماعية**" تضم جنودًا لقوات الاحتلال تم كشفها ثم إخفاؤها[6]؛ ففي أثناء معركة الفلوجة ذكرت العديد من البيانات –عن قوى المقاومة– أرقامًا تبلغ المئات لخسائر القوات الأمريكية[7].

– **كانت العمليات المسلحة** لقوى المقاومة العراقية في البداية محصورة في مناطق جغرافية محدودة بالعراق؛ أي إنها كانت ذات طابع محلي "**Locality**"، وقد استمرت هكذا لفترة من الزمن. وقد ركزت الكثير من الدراسات – بالإضافة إلى أجهزة الإعلام– على أن المقاومة العراقية تتركز في منطقة "**المثلث السُّني**" " **Sunni Triangle**"– وذلك لأغراض محددة.. غير أن عمليات المقاومة العراقية أخذ نطاقها يتسع – بالفعل– جغرافيًا، وتنتشر شيئًا فشيئًا لتشمل محافظات الجنوب ذات الأغلبية الشيعية؛ حيث ينخرط الشيعة تدريجيًا في العمليات القتالية.

وقد بدا هذا الأمر واضحًا بشكل مبكر؛ فعلى سبيل المثال ذكر أحد المراجع الشيعية في خطبته بمدينة الصدر ببغداد أن ثمة عمليات مسلحة تحدث فعلاً في الديوانية والعمارة والحلة والبصرة (وهي مدن ذات أغلبية شيعية) ضد المحتلين، وقد أكد بقوة على أن المقاومة العراقية المسلحة ليست محصورة في المثلث السُّني، واعتبر أن هناك تعتيمًا مقصودًا من قبل وسائل الإعلام على المقاومة المسلحة في المناطق الشيعية[8]، وقد وصف

الكثيرون من المحللين دخول "**الشيعة**" -ممثلين بقطاع كبير ومهم من مؤيدي الزعيم الشيعي الشاب مقتدي الصدر؛ وهو تيار له ثقله في الوسط الشيعي والسياسي العراقي- بأنه دخول إلى "**مرحلة جديدة**"، وأنه يمثل "**منعطفًا مهمًا**"[9] في تطور المقاومة العراقية في هذه المرحلة بعد عام تقريبًا على بدء الاحتلال. **ويرجع البعض هذا التحول إلى عدة أسباب منها:**

1- اتساع مساحة التباين بين ما أعلنته الولايات المتحدة كمبرر لقيامها بغزو واحتلال العراق، وما تقوم به على أرض الواقع من ممارسات؛ وهو ما يؤكد طبيعة الأجندة الأمريكية الفعلية...

2- رغم أن موقف تيار الصدر كان في أحد أبعاده متفقًا مع الموقف الشيعي العام الذي اتضح مع بداية احتلال العراق (وهو المقاومة السلبية القائمة على إعطاء مهلة لقوات الاحتلال لتحقيق أهدافها المزعومة ببناء عراق دمقراطي) إلا أنه كان أيضًا يعلن باستمرار أنه جاهز للمقاومة في أي وقت، وكان له تحفظاته أيضًا على صيغة مجلس الحكم الانتقالي، والقانون الإداري للدولة.

3- كان التيار الصدري هو الأكثر انتقادًا -داخل الشيعة- لممارسات قوات الاحتلال من خلال صحيفة "**الحوزة**"؛ ولذلك قامت هذه القوات بإغلاقها حين تجاوزت "**الخطوط الحمراء**"؛ وهو الإجراء الذي دشَّن دخول أنصار الصدر حلبة المقاومة المسلحة منذ ذلك الوقت..

4- تشكيل الصدر جيش المهدي في يوليو 2003 (أي بعد ثلاثة أشهر من الاحتلال) وبدايات تحرشه وتصادمه مع قوات الاحتلال، وتطورت الأوضاع بعد ذلك على النحو الذي سنتناوله فيما بعد.

والخلاصة؛ إن أسباب تحول أنصار الصدر للمقاومة الإيجابية المسلحة كانت موجودة بالفعل طوال الوقت، وإن ظلت طيلة العام المنصرم سلبية، وحينما توفرات أسباب مباشرة لتفجير الموقف كان هذا ما حدث بالفعل[10]. وهكذا نستطيع القول إن العمليات القتالية التي تقوم بها قوى المقاومة العراقية غدت شائعة، وأصبحت "**حالة عامة**"، ولم تعد محلية؛ فقد شملت كل مناطق العراق؛ أي أصبحت ذات طابع وطني عام "**National**".

- بدأت العمليات في العراق عشوائية ومتناثرة "**Decentralized**" في أنحاء البلاد؛ تتكون من عمليات فردية أحيانًا ("يقوم بها أفراد مدفوعون بدوافع متعددة دينية ووطنية وغيرها")، وأحيانًا كانت العمليات تتم أيضًا من خلال مجموعات محدودة العدد (**ما بين ثلاثة أو أربعة أفراد**)، ولم تكن هناك -على ما يبدو- تنظيمات تقف وراء عمليات المقاومة، أو على الأقل جهات تقوم على التنسيق بين هذه العمليات المقاوِمة. ومع مرور الوقت؛ فإنه قد بدأت تظهر درجات من التنظيم للقوى التي تمارس العمليات القتالية، وبدأت تظهر عمليات "**نوعية**" على درجة عالية من "**الحرفية**" و"**الإتقان**"؛ بحيث تقطع بأن وراءها عقليات، ورؤية، وجهات تنظيمية. وفي نفس الوقت؛ بدأت تنظيمات تعلن أنها تتبنى العمليات القتالية المختلفة في العراق، كما أظهرت درجة التنسيق والتزامن ذات الدلالة، ولعل ذلك بدا واضحًا في أحداث الفلوجة، وكذلك في أحداث جيش المهدي والعتبات المقدسة في النجف الأشرف...

والذي نخرج به أن المقاومة العراقية المسلحة، بالإضافة إلى كونها مفهومًا نظريًا محددًا كما أسلفنا؛ فإنها تحولت إلى "**حالة**" عامة في العراق تمثل تعبيرًا عن عملية "**Process**" متنامية باستمرار، وتجد صدًى لها بين قوى الرأي العام العراقي واتجاهاته المختلفة؛ إذ إن المؤشرات المستمدة من أكثر من استطلاع للرأي العام تثبت أن الغالبية ترى في الولايات المتحدة الأمريكية "**قوة احتلال مرفوضة**"، وأنها وراء حالة "**انعدام الأمن**"، و"**تردي الأوضاع**" في البلاد، وأنها تدعم "**المقاومة**" التي تستهدف طرد الاحتلال والتصدي له بكافة الوسائل والسبل الممكنة، وإن كانت بعض الاتجاهات داخل الرأي العام تتحفظ على عمليات قتل المدنيين –وبالذات من العراقيين– وعلى عملية استهدافهم أساسًا، وأيضًا على استهداف مقرات المنظمات الدولية (كالأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها) والتي تقوم بأدوار في خدمة الشعب العراقي، بالإضافة إلى كل ذلك رأت بعض الاتجاهات في بعض آليات وتكتيكات "**المقاومة**" (مثل اختطاف وقتل الرهائن من المدنيين) أمرًا مرفوضًا من الناحية الشرعية والإنسانية[11].

ومن الناحية النظرية؛ فإن المقاومة المسلحة هي إحدى أهم صور "**العصيان السياسي**" وأشكاله، والتي تعبر عن رفض صريح ومعلن لواقع معين، وسعيٍ لتغييره باستخدام كافة الوسائل والأساليب بما فيها "**القوة المادية**"؛ وهي تؤسَّس على "**حق الدفاع الشرعي العام**"، وحق "**رفض الطغيان**"، وهي في التحليل الأخير تعني موقفًا للرأي العام في بلد ما من سلطة معينة، أو وضعية محددة؛ يرفض وينقض فيها الرأي العام الأوضاع والالتزامات المفروضة عليه قسرًا، ويخرج عليها معلنًا الرغبة الصريحة في الإحلال بها وتحطيمها عمليًا[12].

المبحث الثاني–نشأة ومولد المقاومة العراقية

إن المسألة اللافتة للانتباه بصدد "**المقاومة العراقية**" –والتي ينبغي أن تكون موضعًا للتحليل والتفسير– ليس مولدها ونشأتها في حد ذاته؛ فإن ذلك الأمر تعبير عن منطق الواقع، وحكم الخبرة التاريخية قي كل البلدان التي تعرضت لاحتلال أجنبي كما أسلفنا؛ ولكن سرعة ظهورها، ومولدها المبكر بعد الاحتلال مباشرة، دون فارق زمني حقيقي (منذ الأسبوع الثالث من شهر أبريل 2003م) هي القضية والمسألة؛ خاصة إذا وضعت موضع المقارنة مع الخبرات التي قدمتها حركات مقاومة أخرى لاحتلال بلادها[13].

فقد كانت حركة المقاومة –في البداية– عفوية تلقائية (انتفاضة)، ثم بسرعة "**تحولت هذه الانتفاضة إلى مقاومة حقيقية للاحتلال الأنجلو/أمريكي؛ سواء بهدف التحرير، أو بهدف الانتقام للشرف والحفاظ على العرض، أو بهدف إظهار الشعور الحقيقي تجاه الوجود الأجنبي على أرض العراق**"[14].

إذن؛ فإن السرعة تعد هي "**العامل المشترك**" بين سقوط بغداد وبين بروز المقاومة العراقية، ومضمون هذا العامل هو "**التتابع أو التعاقب Covariant**" "**Relationship** الزمني" ؛ وهو أمر – من الناحية العلمية– لا يفضي إلى القول بوجود علاقة سببية Casual Relationship بينهما[15]؛ وذلك على النحو الذي تذهب إليه بعض التحليلات من أن"**استراتيجية المقاومة رُتبت بعناية، وخطط لها تخطيطًا محكمًا**"، ربما حتى قبل أن يقع فعل الاحتلال على العراق.

وهذه ملاحظة تستبعد الفرضية التي تربط بين المقاومة وغطرسة الاحتلال وتجاوزاته، كما أنها فرضية تسقط عن العراقيين مقدماتهم الوطنية، وتجعل المقاومة مجرد رد فعل لانتهاكات الاحتلال، وليس على الاحتلال ذاته[16]. ويذهب القائلون بذلك إلى أن

الأمر يدعمه أن المقاومة لم تنتظر طويلاً كي تجهز نفسها، وأن الاقتدار القتالي والاحتراف ، وإفادات العمليات نفسها، فضلاً عن اعتراف الاحتلال بالمفاجأة من حجم المقاومة ودقة تنظيمها؛ ما يوفر بعض عناصر ذلك الإقناع..

ولعل النتيجة المنطقية لهذا التحليل –والتي لم يفصح عنها هؤلاء– هو ما ذهبت إليه بدرجة واضحة لا لبس فيها بعض التحليلات الأخرى في نفس السياق من أن: "القيادة العراقية قد أعدت العدة لكل شيء، ووضعت الخطط لكل الاحتمالات، وأقرت مسبقًا بحتمية سقوط بغداد، ولكنها جعلت لهذا السقوط لحظة محددة تتحول بعدها من معارك رسمية وحربية إلى مقاومة شعبية وحرب عصابات"[17].

وتذكر تلك التحليلات مجموعة من المؤشرات حول ذلك، إضافة إلى التأكيد على أن عدم وجود فاصل زمني بين ظهور المقاومة الشعبية وسقوط بغداد يثبت أن المقاومة العراقية الدائرة الآن قد خُطط لها سلفًا لتكون إحدى مراحل الحرب العراقية"[18].

وإذا ذهبنا مع هذا المنطق في امتداده الطبيعي؛ فإن المفارقة تتمثل في التقاء هذه الدعوى مع ما تذهب إليه قيادات قوات "الاحتلال الأمريكي" من أن المقاومة العراقية يقف وراءها فلول النظام البعثي السابق من أنصار صدام حسين، والتي تعارض عملية "**تحرير**" وإعادة "**بناء العراق الديموقراطي**"؛ وهو الأمر الذي أكدت المؤشرات العلمية والواقع العملي الدائر حتى الوقت الحالي عدم صحته؛ كما سيأتي فيما بعد.

والواقع والأقرب إلى الصواب من الناحية العلمية في تفسير النشأة المبكرة لحركة المقاومة العراقية يمكن أن يتمثل من وجهة نظر الدراسة في التالي:

1- تستدعي عملية "**الاحتلال**" للعراق –في حد ذاتها– نشوء عمليات المقاومة لهذا الاحتلال كرد فعل معاكس. ولما كان سقوط بغداد السريع مفاجئًا وغير متوقع؛ كان رد الفعل العكسي (وهو "**المقاومة**") على نفس المستوى من السرعة وعدم التوقع، كما أن ممارسات قوات الاحتلال – العنيفة والمهينة للإنسان العراقي ولرموزه– ساهمت في تزويد المقاومة بمزيد من الوقود الذي يزيدها اشتعالاً باستمرار؛ فالأمر لا يرتبط حقيقة بالنظام السابق[19].

2- تنطلق المقاومة العراقية في معظم قواها وقطاعاتها – خاصة في البداية– من رؤية شرعية إسلامية؛ فهي قد "انطلقت وفق حسابات شرعية تتمثل في الجهاد ضد المحتل لتحرير أرض الإسلام، ووفقًا للحكم الشرعي بوجوب دفع العدو حسبما أفتى به عدد من علماء العراق في الخارج قبل بدء الحرب على العراق، ويتعزز هذا التفسير ويزداد قوة من خلال الثقل الكبير للتنظيمات الإسلامية في حركات المقاومة، وتصريحها المستمر بالأصل الشرعي الذي تستند إليه في مقاومة المحتل"[20].

3- حركت الاعتبارات الوطنية والقومية فئات أخري من الشعب العراقي لمقاومة احتلال بلادهم، والانخراط في عمليات للمقاومة تأسيسًا على الدوافع الوطنية والقومية، وتضم هذه الفئات –من العراقيين– بعض الذين كانوا منخرطين في أحزاب وتيارات سياسية كانت تعمل تحت الأرض زمن صدام حسين، أو غيرهم من المواطنين العاديين، أو من بقايا البعثيين والقوميين الذين كانوا على خلاف مع النظام السابق

4- حركت أيضًا الاعتبارات العشائرية والقبلية فئات وقطاعات مهمة من الشعب العراقي؛ خاصة إذا أدركنا طبيعة التركيبة العشائرية للعراق، إضافة إلى الخبرة التاريخية؛ حيث لعبت بعض هذه التكوينات العشائرية أدوارًا حاسمة في ثورة

العشرين ضد الاحتلال الإنجليزي للعراق، وبالتالي فإن الاحتلال الأمريكي للعراق مجددًا في بدايات القرن الواحد والعشرين أدى إلى خلق رغبة في استعادة بعض أبعاد وجوانب هذه الخبرة التاريخية من خلال المقاومة المسلحة.

طبيعة إدراك الإدارة الأمريكية لمولد المقاومة العراقية ونشأتها:

كان واضحًا في بداية الاحتلال الأمريكي للعراق أن الإدارة الأمريكية كانت تتوقع تأييدًا وترحيبًا من غالبية الشعب العراقي؛ فقد صور لها ذلك بعض المتعاملين معها من قوى المعارضة العراقية في الخارج[21]؛ في خلط واضح بين الرغبة في التحرر، والتخلص من نظام تسلطي مستبد، واحتلال الأرض و"الوطن". وبالطبع فإن أي "**احتلال**" يخلق "**مقاومة**" كما أسلفنا.

إلا أن المفارقة أن الإدارة الأمريكية اعتبرت أن ما قامت به –رغم اعتباره قانونًا احتلالاً– هو "**تحرير**"، ومساعدة في بناء عراق ديموقراطي، وأن من يقاومون ذلك لابد أن يكونوا من أتباع النظام السابق. وقد أفصح عن ذلك بوضوح وزير الخارجية باول: "**أعتقد أنه لو لم نكن نواجه هذه المشكلة الأمنية، ولو لم نكن نواجه هؤلاء الإرهابيين، وهؤلاء الأشرار من مخلفات النظام السابق؛ لكان الناس رمونا بالورد تقديرًا لكل ما نفعله للمساعدة وإعادة الإعمار**"[22].

ومع سرعة تطور الأوضاع، وتجدد المقاومة العراقية واتساعها. على النحو الذي أسلفنا (وذلك في أعقاب الاحتلال مباشرة)؛ الأمر الذي "**أدهش**" قيادات الإدارة الأمريكية من سرعة تفجرها وضراوتها؛ فقد ذكر "باول" بوضوح: "**لقد دُهشت.. هناك مقاومة أكثر مما كنا نتوقع ..**"[23].

وأيًا ما كان الأمر فإن المقاومة العراقية أضحت حقيقة واقعة متنامية في الساحة العراقية؛ الأمر الذي يدفع إلى ضرورة تحديد خريطة قواها وتنظيماتها وهذا هو موضع المبحث القادم ..

المبحث الثالث– خريطة قوى المقاومة العراقية، واتجاهات الرأي العام إزاءها

يُعد الحديث عن خريطة قوى المقاومة العراقية وعملية توصيفها وتحليلها أمرًا بالغ الأهمية؛ ولكن هذه العملية ينبغي – لكي تكون دقيقة وعلمية– من التأكيد على مجموعة من الضوابط العلمية والمنهجية على النحو التالي:

(1) تحيط بعملية التعرف على قوى المقاومة العراقية وتصنيف مختلف أنواع تنظيماتهم درجة عالية من الغموض واللبس في الكتابات القليلة التي تناولت هذه القضية بالتحليل؛ وهذا أمر مفهوم نتيجة بطبيعة المقاومة وعملياتها المختلفة. و لم يكن متاحًا –من أداة علمية– لمعرفة قوى المقاومة العراقية، وتصنيفها، وتحليلها؛ سوى "البيانات" الصادرة عن هذه القوى؛ خاصة في أعقاب تنفيذ عملياتها المقاوِمة، وكذلك بعض المقابلات عن شهادات ميدانية لرصد الساحة، وأيضًا الاعتماد على بعض النتائج المستقاة من دراسة ميدانية سابقة لحالات محددة من المقاومة المسلحة [24].

(2) تعتبر خريطة قوى المقاومة العراقية متغيرة وغير ثابتة؛ وهذا يعني أمريْن: الأول– إنها متنامية من الناحيتين الكمية (العدد)، والنوعية (قوة العمليات وشدتها)، بالتالي فإن تحديدها في لحظة زمنية معينة سيكون قاصرًا؛ إذ ينضاف إليها باستمرار العمليات وتطورها زخم جديد كمي ونوعي. الثاني– إن هناك تنظيمات

"دعائية" يتضح مع مرور الوقت أنها "**وقتية**"؛ إذ تكتفي ببيان واحدٍ مثلاً ثم تختفي بعد ذلك. على سبيل المثال: "**مجاهدو صدام**" التي لا يُعرف عنها إلا بيانها المتعهِّد بالثأر لمقتل عدي وقصي، و"**الجبهة الشعبية**" التي اكتفت ببيان واحد في جريدة الأسوار[25]، إضافة إلى أن هناك "مجموعات قتالية استخدمت أسماء بعض تشكيلات الجيش السابق مثل "**سرية حطين**" و"**فرقة المدينة المنورة**"؛ وهذا الاستخدام رمزي ولا يدل على وجود عسكري حقيقي. كما أن هناك تنظيمات مناطقية أي تنسب نفسها إلى مناطق محددة مثل "**مجاهدي الحديثة**"[26] وبالتالي فإن أي تحديد لخريطة قوى المقاومة العراقية -في لحظة زمنية معيَّنة- يبقى مسألة نسبية متغيرة؛ إذ تنضاف وتحذف -باستمرار تطور المقاومة والعمليات- قوى وتنظيمات جديدة ومحددة.

(3) يجب التمييز بصدد المقاومة العراقية بين بعض المكونات المتداخلة؛ فعلى سبيل المثال: الأول- التمييز بين القوى المنخرطة في عمليات المقاومة العسكرية بالفعل من ناحية، ومن ناحية أخرى القوى الداعمة والمؤيدة لهذه القوى من الناحية الشرعية والفكرية، ولكنها لا تشارك في العمليات؛ وإن كان الخطاب السياسي والشرعي لكليهما موحدًا أو متقاربًا، والثاني- التمييز بين "**قوى المقاومة وتنظيماتها**"، وبين "**أحياء ومناطق المقاومة**"؛ أي التمييز بين الأساس "**التنظيمي**" للمقاومة، والأساس "**الجهوي**" و"**المناطقي**"؛ فهناك أحياء، ومدن مقاومة؛ مثل "**الفلوجة**" و"**الصدر**"، وهناك قوى وتنظيمات مقاومة؛ سوف نتناولها تفصيلاً.

وفي هذا الإطار المنهجي يمكن أن نتناول توصيف قوى المقاومة العراقية، وتحديد خرائط توزيعها؛ غير أنه ينبغي الإشارة إلى ثلاثة توجهات سابقة تناولت هذه المسألة؛ وهي محاولات موضع تقييم في هذه الدراسة، وهذه التوجهات يمكن حصرها في التالي:

الأول- يقوم على عملية إحصاء تنظيمات وقوى المقاومة، وتعدادها من الناحية الكمية اعتمادًا على العمليات التي تقوم بها، والبيانات الصادرة عنها، وغالبيتها دراسات صحفية تصل بهذه التنظيمات أحيانًا إلى عشرين، أو ثلاثين تنظيمًا[27]؛ وهذه كتابات عربية تأتي غالبًا من باحثين ذوي توجهات قومية...

الثاني- يقوم على تصنيف القوى على أساس درجة قربها من النظام العراقي السابق، أو الخلفية الفكرية والأيديولوجية، مع الميل إلى إعطاء القوى العلمانية والقومية وزنًا معتبرًا في هذا الصدد، ويتمثل ذلك في كتابات العديد من الباحثين الغربيين الذين تناولوا الظاهرة، وفي هذا الصدد نركز على حالة لإحدى الدراسات التي عددت هذه القوى والجماعات كالتالي[28]:

1- قُوى من أتباع النظام السابق من ذوي الخلفيات العسكرية خاصة الحرس الجمهوري، وقوى الأمن والمخابرات، وأعضاء حزب البعث، وبالذات فدائيو صدام، The General command of the Armed forces, Resistance and liberation in Iraq, popular Assistance for liberation of Iraq, and patriotic front.

و"**العودة**" (الاسم الجديد لحزب "**البعث**" من مؤيدي صدام، والجهاز الإعلامي والسياسي لحزب البعث) و"**حركة رأس الأفعى**" (وهي أيضًا بعثية وذات علاقة بالقبائل العربية السنية).

Al' Awdah (the Return),Jihaz al-I'ilam al-siyasi lil hizb al-Ba'th (political Media Organ of the Ba'th party), Harakat Ras al-Afa (snake's Head Movement).

2- الناصريون: "Nasserites" وهم مجموعة صغيرة من القوميين العرب من غير البعثيين (من أنصار الوحدة العربية)؛ وهم يقاومون الاحتلال الذي وَحَّد الجميع ضده. والناصريون يؤيدون المقاومة؛ سواء بالوسائل العسكرية أو السلمية من داخل العمل السياسي.

3- قوات جيش الأنبار (الثوريون العراقيون)؛ وهي حركة حرب عصابات قومية ضد نظام صدام، منتشرة في محافظة الأنبار" Thuwwar al-'arak – kata'ibal – anbar al- musallahah Iraq's Revolutionaries –Al- Anbar Armed Brigades"

4- اللجنة أو السكرتارية العامة لتحرير العراق الديموقراطي؛ وهي حركة يسارية قومية معارضة لصدام؛ وهي تدين أيضًا الحكومة الانتقالية التي فشلت في تحقيق الأهداف الأساسية المتعلقة بتوفير الأمن للعراقيين ... General secretariat for the liberation of Democratic Iraq.

5- منظمة الآفة السوداء؛ وهي منظمة ذات طابع دعائي وتوجهات قومية ودينية تنادي بتخريب أنابيب وصناعة البترول العراقي؛ لكي لا تصل إلى أيدي الأعداء *الغربيين* **Munazzamat al-Afah al-saowad" "Black Bane organization".**

6- "الجبهة الموحدة لتحرير العراق"؛ وهي منظمة معروفة للقلة بأنها غير صدامية وغير بعثية؛ وهي تنادي بتوحيد جميع العراقيين والقوات العراقية لمقاتلة الاحتلال الأمريكي **"Unification front for the liberation of Iraq".**

7- "**الجبهة القومية لتحرير العراق**"؛ والذي يبدو من اسمها أنها مقاومة علمانية، ولكنها تضم عناصر متعاونة من النظام السابق، والاتجاهات الدينية... **"National front for the liberation of Iraq".**

8- تنظيم الفاروق **"Al- faruq Brigades"**؛ وهذه الحركة تعرف نفسها بأنها الذراع المسلح (الجناح المسلح) للمنظمة الإسلامية للمقاومة في العراق المسماه بـ"**الحركة الإسلامية في العراق**"؛ وهذه من أولى المنظمات التي أقامت "**سرايا**" سواء كانت "**دفاعية**" أو "**هجومية**"، وتحوي أفرادًا من كل التخصصات العملية...

9- مجاهدو الطائفة المنصورة "Mujahideen al ta'ifa al- Mansoura (Mujahideen of the victorious sect).

وهي تضم عناصر من الإسلاميين السُّنة غير العراقيين، وحتى العناصر الأصولية السُّنية من أنصار السلفية الجديدة، وتعد كتائب "**الشهداء**" هي الجناح العسكري لمجاهدي الطائفة المنصورة.

10- كتائب المجاهدين للجماعة السلفية في العراق. "Kata'ib al mujahideen fial- jama'h al- salafiyah fi al-arak, Mujahideen Batta lions of the salafi Group of Iraq".

وهم جماعة من الإسلاميين السُّنة الذين يزعمون انتماءهم الرمزي والروحي للقائد الفلسطيني الإخواني عبد الله عزام؛ الذي قَاتَلَ مع المجاهدين الأفغان، وعاونه في ذلك القائد الذي ذاعت شهرته بعد ذلك أسامة بن لادن.

11- ألوية وخلايا الجهاد /Jihad Brigades cells تشكلت هذه الألوية والخلايا وبزغت في أواخر يولية 2003. وهناك القليل من

المعلومات المتاحة والمتوافرة عنها، باستثناء أنها تدعو إلى القيام بشن حروب عصابات، وحروب مدن ضد قوات الاحتلال في العراق، كما أنها تهدد بإعدام وقتل "**الجواسيس والعملاء**" وهم -في تعريف ألوية وخلايا الجهاد- أولئك الذين يتعاونون مع قوات الاحتلال الأنجلو/أمريكي.

وتركز هذه الدراسة -ربما كونها صدرت مبكرًا؛ حول الظاهرة وهي في بداياتها، وما زالت لم تتكامل أبعادها ومقوماتها- حول عناصر المقاومة الذين يقولون بأنهم من الموالين للنظام السابق Regime loyalists؛ والذين يعتقدون أنهم لا يوجد خيار أمامهم -في ظل المطاردة المستمرة لهم- سوى الاستمرار في المقاومة، ومحاولة استلهام تجارب المنظمات التي تمارس "**الإرهاب**" و"حروب العصابات" (مثل: حزب الله اللبناني، ومنظمة حماس) في عملياتهم العسكرية[29].

والذي يمكن أن نأخذه على هذه الدراسة في ضوء الضوابط المنهجية التي سبق الإشارة إليها، وباعتبارها نموذجًا لما تنحو إليه الكتابات الغربية عمومًا:

أولاً- محاولة ربط ظاهرة المقاومة بنظام صدام حسين والموالين له من ناحية، ومن ناحية أخرى "**قوى الإرهاب**" بالزرقاوي من أتباع أسامةبن لادن، ثانيًا- محاولة إعطاء ظاهرة المقاومة طابعًا طائفيًا ومصلحيًا بالقول بأن الذين ينخرطون في المقاومة هم من "**العرب السُّنة**" الذين استفادوا مصلحيًا من فترة حكم صدام حسين، ويخشون زوال هيمنتهم في ظل معادلات الواقع العراقي "**الديموقراطي**" الجديد الذي سيتم إنشاؤه وإقامته. وثالثًا- محاولة إظهار أن قوى الأغلبية في العراق —سواء من الشيعة أو من الأكراد وغيرهم من القوميات- لا تنخرط في عمليات المقاومة ولا تؤيد قواها وتنظيماتها المختلفة...

والذي يبدو لنا في هذه الدراسة أن هذه السمات والخصائص -التي تقدمها هذه الدراسات والتحليلات للظاهرة- ربما يكون بعضها نابعًا من كونها كُتبت في بدايات عمليات المقاومة؛ والتي لم تكن قد تطورت وتبلورت بعد، كما أنها قدمت في إطار ومن منطلق التعريفات والتحديدات المفاهيمية بكل آثارها ودلالاتها التي أشرنا إليها في بداية هذه الدراسة[30].

وما نذهب إليه بهذا الصدد هو تصنيف هذه القوى والتنظيمات المنخرطة في عمليات المقاومة المسلحة حسب طبيعة الدوافع التي تحركها، والإطار الفكري الذي تنطلق منه -كما يتبدى في بياناتها الصادرة عقب العمليات- إلى اتجاهات رئيسية؛ يحوي كل اتجاه منها عددًا من القوى والتنظيمات. هذا من ناحية أولى، ومن ناحية ثانية الإشارة إلى بعض القوى المساندة والداعمة للمقاومة العراقية المسلحة ... كما سيأتي تفصيلاً في النقطة التالية ..

أولاً- الاتجاهات والقوى الأساسية المنخرطة في المقاومة العراقية المسلَّحة: الفرضية الأساسية بهذا الصدد؛ "أن المقاومة العراقية تتضح ملامحها، وتتشكل هويتها كلما استمرت وتصاعدت العمليات المسلحة التي تقوم بها"[31].

وإذا كان ما يجمع كافة اتجاهات المقاومة هو موقفها من "**الاحتلال**"، ومحاولة طرده وتحقيق استقلال العراق؛ فإن الذي يظهر من تحليل خطابها السياسي والإعلامي المتضمن في بياناتها -سواء في مضمونه، أو رموزه المختلفة- أن الطابع الإسلامي والوطني هو الغالب عليها ...

وباختصار فإننا نستطيع تقسيم هذه الاتجاهات المقاوِمة إلى ثلاثة أساسية؛ وهي[32]:

أولها- الاتجاهات الإسلامية المقاومة:

الإسلاميون المقاوِمون في العراق الذين جاءوا من خلفيات فكرية وشرعية متنوعة -وقسم كبير منهم؛ من "**العراقيين**" الذين عانوا من الاضطهاد والقمع فترة حكم حزب البعث وصدام حسين. والبعض يرى أن معظمهم "**هواة**"، والبعض يرى أن لديهم خبرة عسكرية معتبرة، وأنهم يتعلمون بسرعة من خبرة إخوانهم في بقية التنظيمات الإسلامية ...

ويمكن التعرف على هذه الاتجاهات من خلال؛ أسمائها، ومضمون بياناتها. ويندرج في إطار هذه الاتجاهات العديد من التنظيمات والجماعات التي أسلفنا الحديث عنها؛ من قبيل: حركة المقاومة الإسلامية، والسلفية المجاهدة، وأنصار السُّنة (التوحيد والجهاد)، ومجاهدي الطائفة المنصورة، وألوية وخلايا الجهاد ... إلخ.

ويمكن أن تقسم الاتجاهات الإسلامية المقاومة إلى نوعين وفقًا لمعادلة العلاقة بين الداخل/ والخارج على النحو التالي:

أ-جماعات المجاهدين العرب والمسلمين:

تعد هذه الجماعات محدودة العدد -رغم أنه من السهل المبالغة في أعدادهم وأهميتهم كما يفعل الكثير من المراقبين في الولايات المتحدة الأمريكية- ولكنهم في الغالب ذوو كفاءة عالية من ناحية التدريب والحرفية.

وتعود جذور هذه الجماعات إلى ما تناولناه في دراسة سابقة "**ظاهرة الأفغان العرب**"[33] الذين قاموا بدخول العراق متسللين في بدايات العدوان الأمريكي، وقد جاءوا من معظم البلاد العربية والمسلمة مثل: سوريا، ومصر، والأردن، والسعودية، والسودان، والشيشان... إلخ، وغالبية هؤلاء ينتمون إلى الطبقة الوسطى والعاملة؛ وهؤلاء تركوا بلادهم ودخلوا العراق للمشاركة في "الجهاد" ضد قوى الاحتلال الأمريكي...

ويمكن أن نميز في إطار هذه الجماعات بين:

- هؤلاء الذين دخلوا العراق في الأيام الأولى للحرب، وأسهموا في مقاتلة الأمريكيين، وأظهروا البطولات التي اعترف بها الكثيرون، واستُشهدوا في المعارك المختلفة؛ معركة المطار، والأعظمية، وأم القصر، وبعد الاحتلال عاد معظمهم إلى بلادهم؛ وإن بقيت منهم قلة داخل العراق.
- جماعات مقاتلي القاعدة: ثمة دلائل تؤكد وجودهم أيضًا؛ فقد دخل بعض متطوعيهم عبر الحدود العراقية المفتوحة، ومما يرجِّح وجودهم هو طبيعة بعض العمليات التي تميزت فيها القاعدة عن غيرها (السيارات المفخخة، والدقة والتزامن في العمليات .. إلخ), فضلاً عن رسائل ابن لادن والظواهري التي تحض على جهاد الاحتلال الأمريكي.

ويبدو أن هناك قدرًا معينًا من المبالغة في تقدير حجم هذه الجماعات، ونسبة العمليات المختلفة لها، ومن هذا القبيل؛ التركيز الأمريكي على ما يُطلق عليه جماعة "**أبو مصعب الزرقاوي**"، واعتبارها وراء معظم العمليات الخطيرة في العراق؛ دون أن تقدم دليلاً متماسكا على ذلك. كما كان يجرى التركيز على "**جماعة أنصار الإسلام**" خاصة في بدايات المقاومة باعتبارها تشكل امتدادًا لتنظيم القاعدة في العراق؛ وإن كان أيضًا لا يوجد دليل على ذلك. وهي جماعة كردية تتركز في شمال العراق؛ وإن كانت عملياتهم شملت معظم أنحاء العراق[34].

ب- جماعات المقاومة الإسلامية العراقية: والتي تقتصر عضويتها على العراقيين فقط؛ وهي

أساس معظم جماعات المقاومة العراقية. ويقدم بعض الباحثين أدلة أخرى على السمة الإسلامية لهذه الجماعات، إضافة إلى تحليل مضمون بياناتها، ورموزها، وأسمائها... إلخ، على نحو ما أسلفنا الحديث عنه؛ ومن هذه الأدلة التالي:

1- غالبية المناطق التي شهدت المقاومة المسلحة هي مناطق غالبية سكانها من المتدينين أو المحافظين؛ فعلى سبيل المثال: مدينة الفلوجة تشتهر بأنها مدينة المساجد، كما أن "**الشهداء الذين سقطوا في المقاومة العراقية تبلغ نسبة الملتزمين منهم دينيًا حوالي 80% من مجموع العينة التي قمنا بدراستها**"[35].

2- غالبية المعتقلين في سجون الاحتلال الأمريكي "**حوالي 90% من السُّنة، والتهم الموجهة لهم هي الاشتراك في المقاومة أو التحريض عليها**"[36].

3- والواقع إنه مع التسليم بأن "**السُّنة العرب**" كانوا الأقل في إبداء القبول بالأمريكيين (للأسباب التي أوضحناها سابقًا)، والأكثر اشتراكًا في المقاومة المسلحة (وذلك في البدايات الأولى للاحتلال) إلا أنه مع الوقت تطورت المقاومة وشاركت الشيعة –وبالذات أنصار مقتدى الصدر– في العمليات العسكرية؛ بحيث أصبحت المقاومة العسكرية شاملة لكل العراقيين؛ ومن الأمثلة التي يمكن أن نذكرها في هذا الصدد النماذج الثلاثة التالية وهي:

أ- نموذج المقاومة في الفلوجة.

ب- نموذج المقاومة لأتباع مقتدى الصدر.

ج- نموذج المقاومة الوطنية الإسلامية.

وسوف نفصلها فيما يلي:

أ- نموذج المقاومة العراقية في الفلوجة:

قدمت مدينة الفلوجة العراقية نموذجًا ذا دلالة في المقاومة؛ فقد كانت من أولى المدن العراقية التي انطلقت منها المقاومة مبكرًا في مواجهة الاحتلال الأمريكي، وظلت متركزة فيها وفي غيرها من المدن مما أُطلق عليه "**المثلث السني**" (كما أسلفنا من قبل)[37]. ولكن المدينة؛ التي تتمتع بطابع خاص من انتشار التدين والمحافظة بين سكانها؛ وذلك بشاراتها المختلفة، وأيضًا وجود عدد كبير من المساجد بالمدينة (مدينة المساجد كما أسلفنا)؛ تحولت إلى مراكز للإعداد للمقاومة.

ونتيجة للدور المهم الذي تلعبه المدينة في المقاومة حاصرتها القوات الأمريكية؛ وذلك في أعقاب مقتل أربعة من المتعاقدين الأمريكيين –وهم أولئك الذين يعملون مع قوات الاحتلال الذين اتضح فيما بعد أنهم من كبار رجال المخابرات الأمريكية– على أيدي المقاومة العراقية، وقيام بعض العراقيين بسحل جثثهم في الشوارع؛ الأمر الذي نقلته عدسات التلفاز، وأثار حفيظة الإدارة الأمريكية التي أصرت على معاقبة الذين قاموا بذلك والقبض عليهم، وأعلن ذلك الرئيس بوش وأركان إدارته؛ ومن هنا تحركت القوات الأمريكية، وحاصرت مدينة الفلوجة وبدأت في عملية القصف؛ ولكن المدينة أظهرت صمودًا بطوليًا بكل المقاييس.

ورغم أنها تكبدت خسائر فادحة تفوق 700 شهيد ومئات الجرحى (غالبيتهم من الشيوخ والنساء والأطفال)؛ إلا أنها في نفس الوقت كبدت القوات الأمريكية مئات القتلى والجرحى الذين لم تُعلن عنهم القيادة الأمريكية كالمعتاد، والأهم من ذلك أنها لم تمكن القوات الأمريكية من دخول المدينة، أو تحقيق أي من أهدافها، واضطرت هذه القوات –في ظل هذا الصمود– إلى الدخول في "**مفاوضات**" مع أهالي

الفلوجة، الذين رفضوا دخول هذه القوات إلى مدينتهم، وتم الاتفاق بين الطرفين على "**هدنة**"، وتشكيل قوة أمنية بقيادة لواء سابق في الجيش العراقي بمعاونة أهالي المدينة "لواء الفلوجة"، وقبلت الإدارة الأمريكية بذلك بعد أن كانت مصرة على استخدام القوة في إخضاعهم، ولكنها بعد أن استعملت كل الأسلحة، وفي حين لم تستسلم المدينة؛ رضخت الإدارة الأمريكية؛ مما اعتبُر أول انتصار حقيقي لقوى المقاومة[38]؛ ومن ثم باتت الإدارة تحذر من انتشاره وانتقاله للمدن العراقية الأخرى.

والواقع إن الإدارة الأمريكية لم تحترم هذه الهدنة وقامت بقصف المدينة مرة أخرى في التاسع عشر من يونيه 2004؛ مما أسفر عن تدمير أربعة منازل ومقتل 22 فلوجيًا، وجرح العشرات[39] -وقت كتابة هذه الدراسة- ومازالت ساحة المقاومة مشتعلة؛ إذ تتكرر باستمرار استهداف مدينة الفلوجة من قبل القوات الأمريكية .

ب- نموذج مقاومة مقتدى الصدر وأتباعه:

كما سبق القول فإن القيادة الشيعية الشابة لمقتدى الصدر؛ وإن لم تخرج في البداية عن الموقف الشيعي العام المتحفظ والذي يفضل المقاومة السلبية والسلمية والذي سبق الإشارة إليه[40] إلا أن مقتدى كان من أعلى الجهات صوتًا في انتقاد قوات الاحتلال. وقد جاءت نقطة التفجر في الأمر عند قيام إدارة الاحتلال بإغلاق جريدة "الحوزة" التابعة له بحجة تجاوزها للخطوط الحمراء في الانتقادات.

وكان مقتدى قد شكل منظمة شبه عسكرية أطلق عليها "**جيش المهدي**"، وبسرعة تطورت الأحداث، وانتقل مقتدى إلى النجف الأشرف، وأصرت قوات الاحتلال على ضرورة حل جيش المهدي[41]، وأصدرت مذكرة اعتقال لمقتدى الصدر؛ وذلك لمحاكمته بدعوى تدبيره لمقتل عبد المجيد الخوئي، واشتعلت الحرب، وقصفت الطائرات الأمريكية العتبات المقدسة، وقاومت قوات جيش المهدي التابعة لمقتدى.

ومرة أخرى؛ دخلت الإدارة الأمريكية في مفاوضات عبر وسيط، وقدمت الإدارة مرة أخرى تنازلات للصدر، ولوحت له بمغانم سياسية في التشكيلات القادمة. والذي يعنينا في النموذجين للمقاومة أن الإدارة في بداية الأمر لم ترد التورط في عمليات حروب مدن، خشية أن يؤثر قتل عدد كبير من الجنود الأمريكيين على شعبية بوش في الانتخابات، وبالتالي المخاطرة بعدم إعادة انتخابه[42].

ج- المقاومة الوطنية الإسلامية:

تشير التسمية إلى وجود نوع من التداخل بين الشعور "**الديني**" و"**الوطني**" في هذا التنظيم للمقاومة العراقية؛ وثمة دراسة قدمت أدلة واقعية اختبارية إمبيريقية على ذلك؛ فإنه من بين العينة التي أُخضعت للدراسة هناك نسبة 13% "دوافع وطنية مصحوبة بعاطفة دينية"؛ توفر زخمًا أكبر، ويقينًا ثابتًا بأن المقاومة واجب وطني وشرعي، وهناك نسبة 2% ممن كانوا ضمن دائرة النظام السابق تشترك في المقاومة تحت مشاعر الإحباط، وفقدان الدور.

"وتصل الدراسة إلى نتيجة مفاداها أن المقاومة العراقية تتشكل هويتها من تيارين رئيسين هما: التيار الإسلامي الذي يمثل 85% إذا ما أضفنا إليه المقاتلين العرب والمتطوعين المسلمين، و15% من التيار الوطني المدفوع بعاطفة وطنية؛ وهذا يعني أن الطابع العام للمقاومة العراقية هو أنها مقاومة إسلامية وطنية"[43].

وتعتمد حركة "**المقاومة الإسلامية الوطنية**" - والتي يمكن القول إنها تمثل الامتداد الحقيقي لجسد

حركة الإخوان المسلمين[44]- رموزًا إسلامية ووطنية من جميع المذاهب والقوميات كأسماء لكتائبها، ويبدو أن الحركة تبدي إعجابًا بحركة حماس الإسلامية في فلسطين؛ حيث اعتمدت المنهجية نفسها في بناء هيكلها، كما أن انتشارها الواسع في محافظات الأنبار، ونينوى، وصلاح الدين، وديالي، وبغداد، وبابل؛ يؤكد أنها تجد قبولاً لدى التيار الإسلامي المعتدل الذي هو الطابع المميز لهذه المحافظات. وقد أعلنت الحركة عن تعريف بها؛ باعتبارها تمثل الشق المقاوم من التيار الإسلامي الملتزم في العراق، وتسعى لتحريره من الاحتلال العسكري والسياسي الأجنبي؛ ليتمكن أبناء الشعب العراقي من حكم أنفسهم بأنفسهم، وبناء دولتهم على أساس المبادئ السامية للدين الحنيف. ويحدد هذا التعريف نشأة الحركة وتطورها، ودوافع تشكيلها وأسبابها، والهيكل التنظيمي للمقاومة سواء في مكاتبه السياسية أو أجنحته العسكرية[45].

ثانيها- الاتجاهات القومية والوطنية العراقية:

*تشمل الأفراد والجماعات القومية والوطنية المقاوِمة، والذين يرفضون الوجود والاحتلال الأمريكي ... وهذه الاتجاهات أقل من حيث **"العدد"**، والكفاءة **"النوعية"** من الاتجاهات الإسلامية، وترتكن هذه المجموعات، وتستند على روابط عائلية، وقبلية، وعشائرية توفر لهم المأوى والنجدة حال تخطيطهم، وقيامهم بعملياتهم العسكرية...

والدوافع التي تحركهم في الغالب وطنية وقومية تتعلق بضرورة تحرير العراق، وفي هذا؛ فإنهم ينتقدون الفشل الأمريكي في الحفاظ على الأمن في العراق، وانتهاك القوات والإدارة الأمريكية لحقوق الإنسان في العراق.ومن التنظيمات والقوى التي تندرج في هذه الاتجاهات كما أسلفنا التالي:

1- الناصريون العراقيون: Iraq's Nasserites

2- الثوريون العراقيون –قوات جيش الأنبار " Revolutionaries –Al- Anbar Armed Brigades"

3- السكرتارية العامة لتحرير العراق الديموقراطي General secretariat for liberation of Democratic Iraq

4- منظمة الآفة السوداء Bane Black Organization

5- الجبهة الموحدة لتحرير العراق Unification front for the liberation of Iraq

6- الجبهة القومية لتحرر العراق National front for the liberation of Iraq

وغيرها من التنظيمات التي تنطلق من منطلقات وطنية وقومية غير دينية وعلمانية؛ وذلك لمقاومة الاحتلال في العراق ...

ثالثها- الموالون لنظام صدام حسين ومؤيدوه

وهي مجموعات من أضعف المكونات في المقاومة العراقية؛ وهي تزداد ضعفًا مع مرور الوقت -خاصة بعد إلقاء القبض على صدام نفسه وغالبية أركان نظامه- وهم مجموعات من الأفراد؛ سواء كانوا ينتمون إلى الجيش، أو الشرطة، أو حزب البعث؛ وهؤلاء كما أسلفنا؛ فإنهم في ظل المطاردة والحصار ليس أمامهم سوى الاستمرار في المقاومة. ومن أهم الجماعات التي ذكرناها فيما سبق؛ وهي مجرد أسماء ولا تمثل حقيقة الكيانات التي كانت موجودة في ظل نظام صدام، وانهارت مع الاحتلال التالي:

1- The General command of the Armed forces.

القيادة العامة للقوات المسلحة.

2- Resistance and liberations in Iraq.

المقاومة والتحرير في العراق.

3-Patriotic front.

الجبهة الوطنية.

4- The Return, Political Media Organ of the Ba'th party.

العودة: الجهاز السياسي والإعلامي لحزب البعث.

5- Snake's Head Movement.

حركة رأس الأفعى.

وهذه المجموعات مع تطور المقاومة العراقية تراجعت، وبدأت تتلاشى؛ وكذلك بدأ الحديث عنها يتلاشى في الإطار الإعلامي وحتى الدعائي ...

هذه باختصار أهم القوى المشاركة فعليًا في المقاومة العراقية المسلحة، غير أن هناك قوى أخرى تحتفظ بمسافة عن هذه المقاومة، ولكنها تنتج خطابًا دعويًا وسياسيًا يؤيد المقاومة؛ وسوف نركز على نموذج هو هيئة العلماء المسلمين.

– هيئة العلماء المسلمين:

بعد سقوط بغداد، وفي بدايات احتلال العراق؛ حدثت درجة عالية من الفوضى، والنهب، والسلب في الشارع العراقي؛ الأمر الذي عكس حالة من "**الانفلات الأمني**"، ترافقت مع غياب شبه عام لأي شكل من أشكال السلطة التي تضبط الأوضاع باستثناء "**قوات الاحتلال**" العسكرية والتي بطبعها غير مؤهلة لمواجهة مثل هذه الظروف، وفي هذا الإطار تداعى علماء الدين من خلال المساجد ليأخذوا دورهم "**المُغيب سابقًا**" في الشارع العراقي من أجل ضبط الأمن في الأحياء السكنية، وإرجاع المسروقات والمنهوبات، والحفاظ على الحرمات ... إلخ؛ وذلك من خلال تجنيد الشباب المتطوعين بمختلف المناطق في تنظيم الدوريات المسلحة والحراسات الليلية؛ لحماية الدور والشوارع والمتاجر؛ الأمر الذي عزز من الموقع الاعتباري لعلماء الدين كقوة ضبط اجتماعي فاعلة ومؤثرة في المجتمع العراقي، حظيت بتأييد الرأي العام وتقديره كبديل أمين ومقتدر للسلطات المحلية الغائبة[46].

في هذا السياق من تطور الأحداث وتتابعها؛ يمكن أن نفهم نشأة هيئة العلماء المسلمين في العراق، إضافة إلى بُعد آخر بالغ الأهمية له تأثير في هذه النشأة؛ وهو يتعلق بتلك القوى والأحزاب العراقية؛ سواء تلك التي جاءت مع المحتل أو تعاونت معه في الهيئات المختلفة، والتي أدارت العراق على أساس المحاصصة الطائفية؛ الأمر الذي يمكن أن يفضي مع مرور الوقت إلى تفتيت الوحدة الوطنية، وتزكية المذهبية، وخاصة عندما حاول البعض إقامة مرجعية دينية لأهل السُّنة "**مجلس شورى أهل السُّنة**" في موازاة المرجعية الشيعية، وسرعان ما اختفت؛ ومن هنا كانت نشأة هيئة العلماء المسلمين لتقوم على جمع كلمة العراقيين المسلمين من العرب، والكرد، والتركمان (شيعة وسُنَّة)، مع احترام حقوق الأقليات الأخرى؛ هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى؛ لكي تقوم بدور فاعل وحقيقي في دعم ومساندة المقاومة العراقية، وكلا الدورين في العراق يحتاج إلى بعض التفصيل ..

الدور الأول لهيئة العلماء في العراق "**تجميعي وتوحيدي**" لكل أطياف الشعب العراقي وتكويناته؛ فقد أقامت علاقات وثيقة مع رموز الشيعة، بل إن عددًا من رموز الشيعة كانوا من مؤسسيها، ووكيلها هو آية الله الخالصي؛ وهو من تيار مشهود له تاريخيًا بوطنيته، وقد كان والده من قادة ثورة العشرين في مواجهة الاحتلال الإنجليزي، كما أن الهيئة لم تُطلق على نفسها هيئة علماء السُّنة، رغم أنها أصبحت كذلك بالفعل في موازاة مرجعيات الشيعة دون تناحر أو تنافس، كما يتجلى في تكوينها أيضًا كونها تضم علماء سنة، وشيعة، وكرد، وتركمان؛ وهو ما لا تحظى به أي مجموعة أخرى في العراق، كما أنها أيضًا

تمثل البعد القبلي والعشائري؛ إذ إن رئيس الهيئة الشيخ حارث الضاري هو -بدوره إضافة لكونه عالمًا درس بالأزهر الشريف بمصر - قائد قبلي كبير لقبيلة لعبت أيضًا دورًا تاريخيًا مشهودًا في مقاومة الاحتلال الإنجليزي للعراق[47].

الدور الثاني: لهيئة العلماء في العراق هو "**الدفاع كطرف**" مقبول عن حقوق الشعب العراقي في مواجهة ممارسات قوات الاحتلال؛ وقد ظهر ذلك في عدة مواقف نختار منها نموذجين فقط:

(أ) التفاوض باسم أهل الفلوجة مع قوات الاحتلال للوصول إلى الهدنة، ووقف إطلاق النار بين المجاهدين وقوات الاحتلال؛ وهو الأمر الذي مثَّل انتصارًا سياسيًا حقيقيًا للمقاومة في إجبارها الإدارة الأمريكية -والتي لها حساباتها الانتخابية كما أسلفنا- وكان بمثابة اعتراف من الرأي العام المقاوم داخل الفلوجة بقيادة هيئة العلماء.

(ب) التدخل لإطلاق سراح الرهائن الأجانب الأسرى لدى جماعات وتنظيمات عديدة من المقاومة العراقية، واستجابة هذه الجهات لأدوار ومساعي الهيئة، بل وتسليم بعض الرهائن الذين اطلق سراحهم لمقرات الهيئة؛ وهو الأمر الذي عزز من مكانتها ومصداقيتها لدى الكثير من الأطراف؛ سواء في الداخل العراقي باعتبارها الصوت الأقرب والأوثق صلة، والأصدق لدى قوى المقاومة العراقية أو في الخارج؛ إذ سعت جهات عديدة لتوثيق علاقاتها معها للاستفادة من وزنها التأثيري، خاصة تلك الدول التي لها رهائن محتجزون لدى جماعات وقوى المقاومة ...

وهناك العديد من الأدوار في هذا الإطار غير أننا نكتفي بهذين النموذجين كدليل على ما تقوم به الهيئة في هذا الصدد.

الدور الثالث:- لهيئة العلماء المسلمين في العراق؛ وهو دور متوقع Expectation Role، ويتسم بطبيعة "**سياسية**" و"**تمثيلية**"، والواقع إن الهيئة ما زالت "**حذرة**" في هذا الصدد؛ فهي تمانع أن تكون الناطق المعبر عن قوى المقاومة العراقية -لأسباب مفهومة ومقبولة- وإن كانت تدعم شرعية المقاومة من الناحية الفقهية والسياسية، وتقف بصراحة ووضوح في مواجهة الاحتلال والهيئات المتعاونة معه، كما أنها ترفض القول بأن لها دورًا سياسيًا مباشرًا؛ إلا أن واقع الممارسة والظروف المحيطة بالأوضاع في العراق يشير إلى أن الهيئة يمكن أن تحظى بالقيام بدور سياسي واضح ومقبول من كافة الأطراف في الساحة العراقية لعدة اعتبارات منها:

1- وضوح موقف الهيئة من معارضة الاحتلال والدعوة لمقاومته؛ مما عزز مكانتها لدى الرأي العام العراقي، وجعلها موضع ثقة كافة قوى المقاومة.

2- رفضت الهيئة الاعتراف بشرعية كافة الأشكال التي أقامها الاحتلال عبر المتعاونين معه من العراقيين؛ مثل: "**مجلس الحكم الانتقالي**"، و"**الحكومة الانتقالية**".

ورغم أن الهيئة كانت -ومازالت- على علاقة طيبة بالحزب الإسلامي العراقي والحزب الإسلامي الكردستاني؛ إلا أنها عبرت بصراحة عن عدم رضاها عن دخول الحزبين في مجلس الحكم المعين أمريكيًا، وكذلك الحكومة الانتقالية المؤقتة بالرغم من تقدير الهيئة لماضي الحزبين.

3- الموقف الصريح للهيئة من المقاومة؛ هو رفضها مطلقًا أن تسمي أعمال المقاومة بالإرهاب، وقد رفضت تشويه المقاومة بكونها مقاومة غير عراقية؛ بل أصرت على أنها مقاومة عراقية وطنية مجاهدة، وأثبتت الأيام مصداقية موقف الهيئة، كما أن

المتحدثين باسم الهيئة كانوا يسمون المقاومين بأنهم: "**أبناؤنا المقاومون**"، ورفضوا أن يسموا عملية التفاوض بشأن الفلوجة بأنها "**وساطة**"، وقالوا: "**نحن لا نتوسط بين أهلنا وبين المحتل**".

4- أكدت الهيئة على أن المقاومة حق مشروع وواجب على العراقيين جميعًا.

5- لم تمارس الهيئة في عملها المنطق الدعائي؛ بل مارست العمل الهادئ المنتظم، وتحدثت بصوت واحد؛ مما كرس من مصداقيتها وحسن تنظيمها، وقد عززت الهيئة من حقيقة شعبية؛ هي وجوب الاستماع إلى "**صوت الأغلبية الصامتة**" في البيئة العراقية بكل ما تحويه ...

6- وقفت الهيئة ضد المنطق الطائفي -والذي حاولت تشجيعه قوات الاحتلال- فقد رفضت نظام المحاصصة الطائفية الذي قامت على أساسه معظم التشكيلات والمؤسسات؛ بداية من مجلس الحكم الانتقالي، ونهاية بالحكومة المؤقتة. ورغم أن الهيئة تعلم أن وصف السُّنة في العراق بـ"**الأقلية**" وصف غير صحيح (لأن نسبتهم لا تقل عن 60%)؛ إلا أن الهيئة بقيت تعتبر الحديث عن "**أغلبية**" و"**أقلية**" بين "**مسلمي العراق**" هي من ألاعيب المستعمر وقوات الاحتلال؛ لبثِّ الفرقة بين أبناء العراق، وكان الشيخ حارث الضاري -في أكثر من تصريح صحفي- قد اعتبر الحديث عن "غالبية شيعية بالعراق" أنها: "دعاية ادعوها... وسكتنا عن مجاراتها لأسباب وطنية" وقال: "**بدلاً من الحديث عن أغلبية شيعية أو سنية ينبغي علينا الحديث عن أغلبية إسلامية ساحقة في العراق؛ حيث المسلمون يشكلون 97% من سكان العراق**"؛ وفي ذلك تأكيد على عروبة وإسلامية العراق.

7- حذرت الهيئة بصراحة من تغلغل النفوذ الصهيوني في العراق تحت ستار الهيئات الإنسانية، وصفقات عقود ما يسمى "**إعادة إعمار العراق**"، كما دعت الهيئة إلى مقاطعة البضائع الأمريكية والبريطانية؛ لأن ترويجها يساعد القوات المحتلة للعراق ..

8- تربط الهيئة بين الاحتلال الصهيوني لفلسطين، والاحتلال الأمريكي للعراق، وترى أن تفاعل العراقيين مع القضية الفلسطينية كان من ضمن الأسباب الأساسية التي دفعت اللوبي الصهيوني واليمين الجديد في الإدارة الأمريكية الحالية لشن الحرب على العراق، والسعي لتحجيمه وتحطيم قواه كسياسة ثابتة ومستمرة...

9- تلتقي الهيئة مع دعوة المرجع الشيعي الأعلى آية الله على السيستاني في وجوب إقامة مجلس نيابي حر ومنتخب، ولكنها ترى أن أوان إقامة مثل هذا المجلس يكون بعد رحيل الاحتلال، وليس تحت سيطرته، كما ترفض الهيئة تسييس الوزارات، وتطالب أن يديرها تكنوقراط من ذوي السمعة الحسنة...

10- تؤكد الهيئة على عروبة العراق، وكونه جزءًا من الأمة العربية والإسلامية؛ وفي هذا الصدد تحفظت على القانون الأساس أو الدستور الانتقالي، كما وقفت ضد محاولات تهميش الشريعة الإسلامية في هذا الصدد.

ورغم أن الهيئة مازالت تؤكد أنها ليست "**بديلاً سياسيًا**"، وليست مشروع سلطة بديلة؛ إلا أنه -نتيجة لكل ما أسلفنا من دلائل ومبررات- فإن الهيئة يمكنها أن تمارس دورًا سياسيًا يكون موضع ثقة وتقدير، وأن تكون الوعاء المعتبر والموثوق لحماية المقاومة العراقية، ولسانًا ناطقًا بالحق العراقي... وقد أكدت التطورات اللاحقة أن هيئة العلماء بدأت تنخرط في الممارسة السياسية من باب دعم المقاومة؛ ففي ظل الحكومة المؤقتة

رفضت الهيئة دعوة للمشاركة في المؤتمر الوطني العام الذي عقد في شهر يولية 2004، انطلاقًا من موقفها الرافض لإضفاء المشروعية على أي هيئات تتشكل في ظل الاحتلال، كما أنها انتقدت القرار الذي أصدره رئيس الوزراء بتسليمه الملف الأمني، ورغبته في فرض حالة الطوارئ والتصدي لما وصفه بـ"**الإرهاب**"؛ وهو -كما أسلفنا- المسمى الذي تطلقه قوات الاحتلال والمتعاونين معها على "المقاومة المسلحة"...

يدفع هذا الاستعراض لرؤية مواقف هيئة العلماء المسلمين إلى وضع القضية في إطارها الأشمل والأوسع؛ وهو أهداف المقاومة العراقية واستراتيجياتها؛ وهو الأمر الذي نتناوله في النقطة القادمة...

المبحث الرابع- أهداف المقاومة العراقية واستراتيجياتها:

يكاد يوجد شبه إجماع بين كافة قوى وجماعات "**المقاومة العراقية**" على أن أهدافها الأساسية تتمحور حول "**تحرير العراق**"، وتحقيق استقلاله الفعلي من الاحتلال، وإجبار قوى الاحتلال على الرحيل؛ وهذا أمر بدهي ومنطقي في آن معًا[48].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بهذا الصدد: هل يوجد لدى بعض قوى المقاومة وجماعاتها وتنظيماتها أهدافًا أبعد من "**التحرير**" تكمن خلف عملية تحقيق "**الاستقلال**" للعراق؟ وهل تكشف بيانات قوى المقاومة عن شيء محدد بهذا الصدد؟ وكيف ذلك؟ وما هي استراتيجية قوى وجماعات المقاومة العراقية لتحقيق هذا الأمر؟؟ وما هي الملاحظات التي يمكن أخذها على قوى وجماعات المقاومة العراقية بصدد أهدافها واستراتيجياتها؟؟ الإجابة عن هذه الأسئلة يمكن أن تحدد لنا بعض جوانب أهداف المقاومة العراقية، واستراتيجياتها، وجوانب النقص والقصور فيها؛ وذلك على النحو التالي:

ماهية أهداف المقاومة العراقية واستراتيجياتها:

*إذا كانت قوات "**الاحتلال**" دخلت العراق رافعة شعار "**تحريره**"، وبناء "**نموذج ديموقراطي**" للحكم فيه؛ وذلك في إطار مشروع على قدر من التكامل يتضمن إعادة تشكيل دول المنطقة الشرق أوسطية على ذات المنوال؛ وهي دعوة قديمة متجددة كشف عنها الخطاب السياسي للإدارة الأمريكية الحالية[49]؛ فإن تساؤلاً على نفس المستوى نحاول الإجابة عنه بهذا الصدد. فكما أسلفنا فإن ثمة اتفاقًا بين قوى المقاومة العراقية على تحرير العراق، وتحقيق استقلاله .. ولكن وراء هذا الهدف العملي هل تكشف بيانات قوى المقاومة العراقية وطبيعة عملياتها العسكرية عن إدراك محدد بهذا الأمر؟ أم تقتصر على أهداف "**الاستقلال**" و"**التحرير**" المجرد كحركات وطنية؟؟ يرى البعض من المحللين أن هناك "**هدفًا**" متفقًا عليه بين كل هذه الجماعات المسلحة يمكن أن نصفه بالحد المشترك الأدنى بينها؛ وهو تحرير العراق من الاحتلال الأمريكي/البريطاني"[50].

فعلى سبيل المثال؛ فإن بيان الجبهة الشعبية لتحرير العراق يعلن: "**تعلن الجبهة عن مسئوليتها القانونية الكاملة عن كل العمليات العسكرية الموجَّهة ضد الاحتلال ... وهدفها هو رحيل هذه القوات، وترك الشعب العراقي ليقرر مصيره**"[51].

وفي ميثاق المقاومة الإسلامية الوطنية هناك تأكيد على ذلك: "المقاومة الإسلامية الوطنية حركة جهادية وطنية تسعى إلى تحرير العراق من الاحتلال العسكري والسياسي الأجنبي؛ ليتمكن أبناء الشعب العراقي من حكم أنفسهم"[52].

ويكاد يكون هذا الهدف متكررًا في كل بيانات القوى والجماعات المقاومة العراقية. وترى الكثير من

الكتابات –خاصة الغربية والأمريكية– أن ذلك الأمر قضية محورية "Key issue"؛ فهي تصف المقاومة بأنها تمتلك مجموعة من الأهداف يمكن وصفها بأنها "سلبية"”Negative” ولا توجد أهداف "إيجابية– “No” positive “goal(s)” what they want? تحدد ما يتعين إيجاده، ولا توجد لها "رؤية" للمستقبل..

فقوى المقاومة –وفق هذه الدراسات– متعددة، وليس لها خلفية أيديولوجية متوافقة أو مشتركة **“Are not ideological fellow-travelers”**، وأهدافها السلبية هي "إعاقة السلام"، وتعطيل إعادة الإعمار والبناء، ومنع العراقيين من العمل مع سلطات الاحتلال، وتشجيع قوات الاحتلال الأمريكية على القيام بشن الغارات الانتقامية الفائقة، ومقاومة حرب العصابات؛ الأمر الذي يوقع الفوضى في حياة العراقيين العاديين، وهو يتضمن قتل المدنيين، ورفع تكلفة وثمن الاحتلال والوجود الأمريكي في العراق؛ إلى الأمر والحد الذي قد يدفع الإدارة الأمريكية في واشنطن إلى التفكير في الانسحاب، والتساؤل حول محددات وضمانات وجودها في العراق، وأن هذه القوى تدرك أنها لا تستطيع أن تقف ندًا للقوات الأمريكية أو أن تتصدى لمقاتلتها مباشرة؛ كما كان الأمر كذلك من قبل بالنسبة لحزب البعث. وترى الكتابات أن هذه القوى تقوم بتسليح نفسها لمهاجمة القوات الأمريكية، والهيئات والأجهزة العراقية التابعة لها، والعاملة في إطار سيطرتها وهيمنتها[53].

وإذا ما تفحصنا ما تذكره هذه الكتابات وتعده أهدافًا للمقاومة العراقية؛ نجدها في الحقيقة مجموعة من الآليات والأدوات التي يمكن أن تصب –وفق قوى المقاومة– في هدفها النهائي الذي أسلفنا الحديث عنه؛ وهو "**تحرير العراق**". والأدوات –يمكن رؤيتها من قبل هذه الكتابات– كأهداف سلبية وغير إيجابية؛ ولكن وفق إدراك قوى المقاومة العراقية؛ هي خطوات لازمة ترى أنها تؤدي إلى تحقيق أهدافها النهائية ...

ولكن هل ينقص المقاومة العراقية وجود "**رؤية Vision**" تتعلق بالمستقبل أيًا كان مستواها ودرجتها..؟؟ البعض يرى ذلك ويعده نقصًا حقيقيًا؛ غير أن البعض الآخر يرى أنه في حالات "**الاحتلال**" يكون الهدف الأساس الذي يلتف حوله الجميع هو المقاومة، ومحاولة تحقيق الاستقلال دون الالتفات إلى ما وراء ذلك من أهداف، ويعد ذلك أمرًا منطقيًا. ويذكر في هذا الصدد: "**إن هناك وعيًا من بعض الجماعات المنخرطة في المقاومة بطبيعة الظرف العام الذي تعيشه وتمارس نشاطها فيه؛ فيقتصر قسم لا بأس به منها على هدف التحرير**"[54].

ورغم أن ذلك يكاد يكون هو الموقف العام لقوى المقاومة العراقية الذي يركز على "**الهدف المشترك**"، غير أن البعض لا يغفل ذلك في وثائقه الأساسية؛ فعلى سبيل المثال:

أ– ميثاق المقاومة الإسلامية الوطنية يذكر صراحة السعي من قبل هذه المجموعة لبناء دولة عراقية على أساس "المبادئ السامية للدين الإسلامي الحنيف القائم على تطبيق العدالة، وعدم التمييز على أساس اللون، أو العِرْق أو الدين أو المذهب"، وطريق تحقيق ذلك –كما ترى– أن: **" يكون العراق دولة مستقلة متحررة، وأن يلعب دورًا فاعلاً في محيطه العربي والإسلامي والدولي**"[55].

ب– يذكر البيان الأول للقيادة العامة للجيش الوطني لتحرير العراق –بعد التأكيد على "**مقاومة الاحتلال وتحرير كامل التراب العراقي**– أن من أهدافه: "**العمل على إقامة عراق حرٍّ ديموقراطي موحَّدٍ بعيد عن الطائفية والعنصرية والمذهبية، ويكون فيه الإسلام الدين الرسمي للدولة، مع احترام جميع الأديان السماوية والمعتقدات الأخرى**"[56]. وهناك بعض القوى والجماعات

المقاومة لا ترى ما سبق الإشارة له؛ على سبيل المثال قيادة "**جيش أنصار السُّنة**" ترى أن: "**الغاية لا تنتهي بمجرد طرح المحتل والإثخان فيه؛ وإنما إقامة دين الله، وفرض شريعة الإسلام لتحكم هذه الأرض الإسلامية**"[57].

ورغم أن بعض هذه القوى المقاومة (مثل المقاومة الإسلامية الوطنية) قدمت ملامح "**مشروع سياسي**" من خلال ميثاقها المعلن، ورغم تبنيها خط المقاومة المسلحة؛ إلا أنها لا تنكر على الآخرين العمل السياسي، ولكن بشرط أن: "**لا يقاطع أو يعارض أو يلغي ثوابتها الإسلامية والوطنية**". إلا أننا بوجه عام نستطيع القول إن قوى المقاومة العراقية تعاني نقصًا، وعدم تبلور للرؤية بصدد خمسة أبعاد أساسية يمكن تلخيصها فيما يلي[58]:

(1) عدم تبلور الرؤية الكلية للمقاومة وخاصة إدراك الأبعاد المتكاملة للمشروع الأمريكي في المنطقة وموقع العراق في إطاره:

من خلال تحليل البيانات الصادرة عن قوى المقاومة العراقية المسلحة، يمكن أن نلاحظ "**مؤشرات**" تدل على نوعية من "**الإدراك**" لأبعاد المشروع الأمريكي في المنطقة؛ فنجد مثلاً الربط بين ما يحدث في "**العراق**"، وما يحدث في "**فلسطين**" في بعضها، وكذلك بعض الإشارات إلى ما حدث في "**أفغانستان**" وإلى الأهداف "**الحقيقية**" للهيمنة على المنطقة من خلال العراق، غير أنه لا يمكن القول بوجود "**رؤية**" متكاملة لأبعاد هذا المشروع لديها.

(2) عدم تقديم قيادات ميدانية وسياسية معلنة تتبنى خط المقاومة المسلحة وتدافع عنه: إشكالية العلاقة بين العسكري والسياسي

رغم ما تحققه المقاومة المسلحة العراقية من نجاحات، والدعم الشعبي الذي تلقاه من قبل قطاعات الرأي العام المختلفة، ورغم تداول أسماء الكثير من القيادات العسكرية، والرموز التي قامت بعمليات ضد قوات الاحتلال.. فإن المقاومة لم تقدم حتى الآن – بعد مرور أكثر من عام على بدايتها- قيادات ميدانية في العراق أو خارجه تتبنى بشكل علني منهج المقاومة –وليس بالضرورة العمليات العسكرية التي تقوم بها- على النحو الذي يمكن مقارنته مثلاً بحالة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والجهاد الإسلامي، أو كتائب الأقصى في فلسطين، أو بحالة مقاومة حزب الله في جنوب لبنان..

ويعود ذلك بشكل أساس إلى "**أسباب أمنية تتعلق بالإفراط في استخدام القوة، والرد العنيف من قبل قوات الاحتلال لكل من يشتبه أن له علاقة مع المقاومة، ولعل آلاف المعتقلين، وهدم البيوت، واعتقال نساء المقاومين والتعذيب الوحشي؛ كل ذلك يحد من إمكانية إعلان قادة المقاومة عن أنفسهم**"[59] غير أنه من المتصور أن ذلك يمكن أن يتغير مع مرور الوقت وتطور العمليات ...

(3) عدم بلورة برنامج سياسي محدد ومعلن للمقاومة العراقية:

رغم وضوح وعلانية الهدف النهائي للمقاومة والمتمثل في طرد الاحتلال وتحقيق استقلال العراق؛ إلا أنه يلاحظ افتقار المقاومة العراقية المسلحة إلى برنامج سياسي محدد الملامح والخطوات؛ سواء لمرحلة الاحتلال أو لمرحلة ما بعد الاحتلال. غير أن هذا القول يجب تقييده بالقول بأن العديد من القوى والتنظيمات المنخرطة في عملية المقاومة قدمت ما يشبه البرنامج السياسي؛ فمثلاً المقاومة الإسلامية الوطنية نشرت "**ميثاقًا**" لها كحركة مقاومة، يمكن أن نلتمس فيه الملامح الأولية والأساسية لبرنامج سياسي، ولكن الأمر يحتاج إلى المزيد من

الإنضاج، وخاصة على مستوى الآليات والأساليب. ويرجع البعض ذلك إلى سببين رئيسين هما: "**السرعة في تشكيل المقاومة، وعدم وجود تنسيق بين المجموعات المكونة لها، ووجود أطياف متعددة داخل المقاومة العراقية؛ الأمر الذي يجعل من الصعب اختزالها بمشهد واحد**"[60]، ونضيف لذلك أن طبيعة العمل المقاوم اليومية قد تعوق في كثير من الأحيان من بلورة مثل هذا البرنامج؛ وهو أمر يمكن أن تتولاه القوى الداعمة للمقاومة ...

(4) الجدل بصدد مشروعية بعض عمليات وأهداف المقاومة العراقية:

هناك اختلاف حقيقي داخل الساحة العراقية بصدد مبدأ المقاومة المسلحة في حد ذاته من ناحية، ومن ناحية أخرى إزاء بعض العمليات التي تقوم بها؛ خاصة تلك التي توجه إلى المدنيين العراقيين، أو بعض المؤسسات الدولية ...

فبالنسبة لمبدأ المقاومة المسلحة هناك أولاً القوى المرتبطة بالاحتلال، والتي جاءت معه، وتحالفت في إطار مجلس الحكم الانتقالي والحكومة المؤقتة؛ وهي ترفض المبدأ وتراه نوعًا من الإرهاب الذي ينبغي القضاء عليه، وهناك ثانيًا القوى التي ترى أن الأفضل في هذه المرحلة هو اللجوء إلى "**المقاومة السياسية**" لتحقيق أكبر قدر من المطالب، واختبار مدى مصداقية الإدارة الأمريكية، وتحدد هذه القوى ما بين سنة وسنتين لذلك، وترى أنه في حالة عدم جدوى هذه المقاومة؛ فإنها يمكن أن تغير من موقفها، وهناك ثالثًا القوى التي تؤيد المقاومة المسلحة وتراها السبيل الأوحد لتحقيق الاستقلال، ولكل طرف من هذه الأطراف أدلته وحججه، ولسنا في معرض تفصيلها؛ إذ موضعها دراسة مستقلة.

(5) الجدل بصدد مدى قومية المقاومة العراقية: إشكالية مدى انتشارها الفكري، والمذهبي، والجغرافي في البلاد:

كما أسلفنا في بداية هذه الدراسة؛ فإن ثمة جدلاً أُثير بصدد هوية المقاومة ما بين "**المحلية Locality**" و"**الوطنية أو القومية Nationality**"، وقلنا إن المقاومة العراقية في البداية –ولأسباب ذكرناها في حينها– تركزت في المناطق السُّنية العراقية مثل محافظات: نينوي، وصلاح الدين، وديالي، والأنبار، وبغداد وبعض المناطق المحيطة بها؛ وهو ما سبق أن أطلقنا عليه "**المثلث السُّني**"، وكان هذا التركيز في غير مصلحة المقاومة؛ إذ إنه يسهل من عملية محاصرتها؛ نظرًا لطبيعة هذه المناطق الجغرافية واتساعها بحيث يكون الاتصال بينها أمرًا صعبًا[61].

غير أن هذا الأمر مع مرور الوقت لحقه التغيير، وبدخول تيار مقتدى الصدر –ولو جزئيًا– في مضمار المقاومة المسلحة أضحت المقاومة تشمل كل أنحاء العراق، وبدأت تتحقق لها الصفة القومية، غير أن للمسألة بعدًا آخر لا يقل أهمية؛ وهو الانتشار الفكري والمذهبي. ففي البداية –كما ذكرنا سلفًا– ظلت المقاومة محصورة في العرب السُّنة، وبدا واضحًا أن التوجه الشيعي العام –والمرجعية تحديدًا– لم يكن يحبذ هذا النوع من المقاومة، وتم التعويل على "**المقاومة السياسية**"، ولكن كان هناك دائمًا نوع من التلويح بأن هذا النوع إذا لم يفلح؛ فإن المسألة سوف تتحول إلى الأسلوب العنيف؛ وهذا ما تحقق بالفعل –كما أشرنا– حين دخل التيار الصدري إلى ساحة المقاومة المسلحة، وما تزال الأحداث تتداعى.

طبقات الشعب العراقي بكافة مدارسه الفكرية والمذهبية.

وهكذا يمكن القول إن المقاومة العراقية المسلحة وإن كانت قد حددت أهدافها أيًا كان توصيف هذه

الأهداف، وبالذات في مرحلة احتلال العراق، وسعت نحو صياغة هذه الأهداف في مجموعة من الاستراتيجيات المحددة، والآليات، والديناميات المعنية؛ فإن هذه الأخيرة -بالذات ديناميات المقاومة- هي التي تشهد تطورات متلاحقة في عمليات المقاومة؛ بحيث تستخدم العديد من الآليات والتكتيكات التي سوف نفصلها في المبحث القادم..

المبحث الخامس-ديناميات المقاومة، وتطور عملياتها، وتكتيكاتها:

تقوم جماعات المقاومة العراقية المسلحة من أجل تحقيق أهدافها -التي سبق الإشارة إليها- بتطوير عملياتها باستمرار عبر اختيار تكتيكات معينة، والتي تدخل في فنون العمليات العسكرية[62]؛ ومن أمثلة تلك التكتيكات التي استخدمت في بدايات عمليات المقاومة العسكرية، والتي تطورت مع مرور الوقت:

1- عمليات الاغتيال والاقتناص المتفرقة Lone Sniper Attacks وهي أولى التقنيات التي استخدمتها المقاومة العراقية في مهاجمة قوات الاحتلال في الأيام الأولى له في العراق، وتقوم على أساس الكمون لجنود الاحتلال واصطيادهم بإطلاق الرصاص أو القذائف عليهم، وهي من أيسر التقنيات وأكثرها شيوعًا حتى الوقت الراهن، وتضمن حصيلة قتلى شبه يومية؛ الأمر الذي يشكل استنزافًا مستمرًا لجنود الاحتلال وقواته[63].

2- القنابل المزروعة على جوانب الطرق Roadside bomb وهو تلغيم جوانب الطرق التي تمر عليها قوات الاحتلال؛ بحيث تنفجر عند مرورها، الأمر الذي يوقع الخسائر في الآليات والعتاد العسكري بالإضافة إلى الجنود والقوى البشرية أيضًا[64].

3- الضربات الموجهة في فرص معينة Opportunistic grenade and shooting attacks وقد برعت فيها بعض فصائل المقاومة؛ وهي تقوم بجمع معلومات استخبارية عن أهداف محددة؛ ومن ثم تنتهز الفرصة السانحة لتحرُّك هذه الأهداف وتقوم بتوجيه ضربات إليها، وثمة أدلة على وجود عدد من العمليات من هذا النوع؛ تم تنفيذه بدرجة عالية من الاحتراف[65].

4- نصب الكمائن للعربات الخفيفة وأرتال القوافل العسكرية Ambushes of soft-skinned vehicles and military columns
وتقوم عملية "**نصب الكمائن**" على توجيه ضربات مصممة جيدًا ومربكة في آن معًا، كأن يتم ضرب رتل عسكري في أوله وآخره؛ مما يجعل قدر الخسائر كبيرًا جدًا.

5- إسقاط الطائرات والمروحيات الأمريكية:
وذلك من خلال توجيه قذائف مدفعية لهذه الأهداف المتحركة، وكانت المقاومة قد أسقطت -خاصة في بداياتها- أعدادًا كبيرة من الطائرات الأمريكية من حاملات الجنود أو العتاد، أو من غير طيار[66].

6- تهديد وقتل العراقيين المتعاونين مع سلطات الاحتلال Threats against Iraqis "collaborating" with occupation authorities:- وقد اتجهت هذه العمليات إلى هدفين: أولهما- رموز العراقيين؛ سواء في مجلس الحكم الانتقالي أو الوزارة، أو المستويات العليا من المؤسسات المتعاونة مع قوات الاحتلال، وثانيهما- العراقيون العاديون العاملون في المؤسسات التي تقيمها قوات الاحتلال، أو الذين يؤدون خدمات محددة لها.

ومن المعلوم أن ظاهرة الاحتلال في أي بلد عادة ما يصحبها مولد **ظاهرة العملاء**.

7- تخريب البُنية الأساسية والحساسة- Sabotage of critical infrastructure وقد اتجهت بعض هذه العمليات تحديدًا إلى قطاع النفط، وقامت منذ الأيام الأولى للمقاومة بعمليات قصف وتخريب لمصافي النفط، وأنابيب نقله؛ بغية حرمان الاحتلال وأتباعه -وفق رأيها- من الاستفادة بها. هذه الهجمات المنظمة تقوم على منطق "**إلحاق الأذى**" بقوات الاحتلال الأمريكي والمتحالفين معها بسرعة، ثم "**الهرب والاختفاء**"؛ حيث إن المسألة ليست مواجهة عسكرية مباشرة بين طرفين متكافئين في القوة. وقد حدث في المقاومة نوع من التطور مع مرور الوقت في تكتيكاتها المختلفة؛ بحيث اتسعت نطاقًا وازداد الاهتمام بالرغبة في تحقيق مكاسب سياسية على الأرض؛ من خلال عمليات نوعية محددة وموجَّهة.

8 - الدخول في مواجهات عسكرية محدودة مع قوات الاحتلال (حروب المدن). وكما أسلفنا فقد كانت هذه المواجهات في مدينة "**الفلوجة**"، وفي "**النجف الأشرف**" مع أتباع مقتدى الصدر. وقد مثلت هذه العمليات أول مواجهات عسكرية مباشرة مع قوات الاحتلال. وكما أسلفنا؛ فإن ما حدث في الفلوجة تحديدًا كان أمرًا ذا دلالة؛ إذ كانت أول مواجهة حقيقية مع قوات الاحتلال، وقد استطاعت فيها إرادة المقاومة العراقية أن تسجل انتصارًا، وأن تخضع الإدارة الأمريكية لشروطها ومطالبها، وتكرر الأمر نفسه تقريبًا مع أحداث مدينة النجف، حين تم التصدي لقوات الاحتلال من قبل أتباع مقتدى الصدر، وحين تم التوصل إلى هدنة واتفاق على ما أسلفنا[67].

9- اختطاف الرهائن -من مختلف الجنسيات- والمطالبة بثمن سياسي محدد في مقابل الإفراج عنهم، أو قتلهم... تقوم هذه الآلية على أن جماعة أو قوة معينة من قوى المقاومة تلجأ إلى اختطاف بعض الرهائن سواء من أفراد قوات الاحتلال (أسرى)، أو من المتعاونين معها (رهائن)؛ كوسيلة ضغط سياسية على الدول التي ينتمون إليها؛ إذ تقدم مطالب معينة عادة ما تكون سحب قواتها من العراق، أو إصدار بيانات معينة حول الأوضاع فيه. وقد شملت عمليات احتجاز الرهائن عددًا كبيرًا من البلاد التي لها تواجد بالعراق[68]، وأدت إلى قيام الكثير من الدول بسحب رعاياها من العراق؛ مما جعل مهمة الإدارة والحكومة شبه مستحيلة، وفي بعض الأحيان لجأت الدول -عبر وسيط مثل "**هيئة العلماء المسلمين**"- إلى التفاوض مع قوى المقاومة العراقية؛ مما يعني نوعًا من الاعتراف الواقعي بها. غير أن بعض جماعات المقاومة وتنظيماتها؛ تورطت في عمليات اختطاف واحتجاز رهائن تفتقر إلى الحس السياسي؛ من ناحية المطالب التي قدمتها، ومدي ارتباطها بالقضية المركزية ("الاحتلال والتحرير")؛ كما حدث مثلاً مع اختطاف "الصحفيين الفرنسيين"، وبعض العاملات الإيطاليات.

10- مهاجمة معسكرات ومراكز تجمع قوات الاحتلال في أوقات محددة لإلحاق أكبر قدر من الأضرار، وعدم إشعارها بأي نوع من الاستقرار.. هذا التكتيك غالبًا ما يحدث بناء على معلومات استخبارية حول تحركات

قوات الاحتلال؛ حيث تعمد قوى المقاومة إلى قصف معسكراتها، ومراكز تجمعها لتحقيق أكبر قدر ممكن من الخسائر وإشعارها بعدم الأمان والاستقرار. وقد سجلت الفترة الماضية العديد من الهجمات -على هذا المنوال- بما فيها "**المنطقة الخضراء**" (مقر هذه القوات)، بالإضافة إلى الإدارة العراقية (الحكومة)؛ وذلك من خلال قصف مدفعي أو صاروخي، وغالبًا لا يتم الإعلان عن ماهية وحجم الخسائر التي تقع بهذا الصدد[69].

والذي نلاحظه بصدد آليات المقاومة العراقية المسلحة وتكتيكاتها المختلفة، بالإضافة إلى تطورها مع الوقت؛ أنها أخذت تنحو إلى الاتساع، كما أنها اتجهت نحو العنف والضراوة البالغة التي قادت حتى في بعض الأحيان إلى انتهاك بعض الاعتبارات الإنسانية العامة، إضافة إلى أن جماعات وقوى المقاومة العراقية المسلحة بدأت توظف عملياتها بشكل مباشر للحصول على مكاسب سياسية على الأرض لصالح أهدافها الأساسية التي أسلفنا الحديث عنها ..

وأيًا ما كان الأمر؛ فإن مستقبل قوى المقاومة العراقية المسلحة سوف تحدده، بالإضافة إلى استراتيجيتها وتكتيكاتها المختلفة، وتأييد قوى الرأي العام العراقي لها، وموقف الطرف الآخر في المعادلة (وهو قوات الاحتلال الأمريكي والقوى المتحالفة معها)، بالإضافة إلى ذلك؛ هناك بعض الاعتبارات الإقليمية والدولية. والآن ما هي السيناريوهات الأساسية المتصورة لمستقبل المقاومة العراقية المسلحة[70]؟

المبحث السادس- السيناريوهات المستقبلية للمقاومة العراقية

يمكن تصور عدة سيناريوهات لمآلات الأوضاع بالنسبة لمستقبل قضية المقاومة العراقية (دون دخول في تفاصيل كثيرة من الشروط الابتدائية لعمل هذه السيناريوهات) أولها- مدي تطور أوضاع المقاومة العراقية وتصاعد عملياتها نوعيًا وكميًا، وثانيها- موقف الإدارة الأمريكية من تدهور الأوضاع في العراق؛ خاصة في ظل انتخابات الرئاسة الأمريكية ونتائجها المتوقعة، وثالثها- مواقف ومدى مقدرة الحكومة المؤقتة علي السيطرة علي الأوضاع الأمنية وإمكانية إجراء الانتخابات المقبلة في هذا الإطار، ورابعها- مدى تجاوب الدول المجاورة للعراق، والأطراف الاقليمية المهمة مع ما يجري داخل العراق، وأيًا ما كان الأمر؛ فإننا يمكن أن نتصور السيناريوهات الأربعة علي النحو التالي:

السيناريو الأول- تدهور الأوضاع الأمنية على نحو خطير؛ الأمر الذي يدفع قوات الاحتلال للبقاء في العراق:

في إطار هذا السيناريو من المتوقع أن يشتد تدهور الأوضاع الأمنية في العراق بدرجة خطيرة؛ الأمر الذي يجعل من أي محاولة لنقل "**السيادة**"، أو إجراء الانتخابات لنقل "**السلطة**" إلى العراقيين أمرًا مستحيلاً من الناحية العملية، كما أنه يمكن تصور حدوث نوع من "الحرب الأهلية" أو تصوير الأمور علي هذا النحو؛ مما يجعل من وجود قوات الاحتلال الأمريكي، وبالتالي فإن استمرار احتلال العراق "واقعيًا" سيكون مطروحًا.

وفي هذا الصدد؛ فإن من المتصور أن المقاومة العراقية المسلحة سوف تتسع عملياتها؛ إذ تكتسب مقولاتها الأساسية حول الاحتلال مصداقية، كما أن الأطراف التي كانت تراهن على الاحتلال سوف تفقد الأمل تدريجيًا في الأمن وإصلاح الأوضاع، وربما تنضم لقوي وجماعات المقاومة، كما أن قطاعات متزايدة سوف تزداد قناعاتها بصوابية منطق المقاومة

العسكرية كوسيلة أساسية -وربما وحيدة في ظل هذه الأوضاع- الأمر الذي يمكن أن يدفع هذه المقاومة إلى إعادة تنظيم صفوفها، وتلافي النقائص التي أشرنا إليها سابقًا؛ مما يجعل منها الفاعل السياسي الأساس في الساحة العراقية التي يمكن أن تكتسب دعمًا إقليميًا ودوليًا في مواجهة قوات الاحتلال؛ ومن ثم يتحول العراق إلى "**مستنقع**" يستنفد قوات الاحتلال، ويدشن بدرجات متوالية فشلاً للمشروع الأمريكي في العراق، ثم في المنطقة.

السيناريو الثاني- تدهور الأوضاع الأمنية على نحو خطير؛ الأمر الذي يدفع قوات الاحتلال للانسحاب من العراق دون ترتيب معين:

في إطار هذا السيناريو من المتوقع أيضًا أن يشتد تدهور الأوضاع الأمنية في العراق، وأن توجه إلى قوات الاحتلال "**ضربات نوعية**" توقع خسائر غير متوقعة في صفوفها؛ الأمر الذي يدفع قوى الرأي العام الأمريكي إلى التحول الجذري ضد إدارة بوش -وخاصة في إطار الانتخابات الأمريكية القادمة في سبتمبر- خاصة في حالة إذا ما ترافق ذلك مع نجاح تنظيم القاعدة في نقل المعركة -بصدد موضوع العراق- داخل الساحة الأمريكية؛ من خلال ضرب أهداف محددة داخل أمريكا خلال الفترة السابقة على الانتخابات؛ على النحو الذي حدث قبيل الانتخابات الإسبانية. وفي هذه الحالة؛ فإن تكرار ما حدث في الصومال، أو بيروت قد يكون متصورًا؛ وتنسحب قوات الاحتلال من العراق؛ الأمر الذي سيترك الحالة العراقية مفتوحة على كل الاحتمالات، كما يذهب البعض إلي ما فيها إمكانيات التقسيم والحرب الأهلية ...إلخ.

السيناريو الثالث- انسحاب قوات الاحتلال وتسليم السلطة إلى حكومة متعاونة معهم..

في إطار هذا السيناريو وتحت ضغوط متنوعة؛ يمكن أن تنسحب قوات الاحتلال من العراق، وتقوم بتحويل العلاقة من "**احتلال**" إلى علاقة "**تحالف**"؛ وذلك مع حكومة متعاونة مع قوات الاحتلال تقوم بالتركيز على الملف الأمني، وتجعل المهمة الأساسية القضاء على المقاومة العراقية العسكرية؛ الأمر الذي يضع المقاومة أمام عدة اختيارات منها:

أ- إذا ظلت المقاومة على وضعها الحالي، و لم تتسع وتشتد بدرجة كبيرة؛ فإن احتمالات التلاعب الإقليمي والدولي ببعض أطرافها تكون واردة؛ ومن ثم يمكن أن تنتشر الفوضى جراء التقاتل الداخلي؛ الأمر الذي سيكون له تأثير سلبي على العراقيين ككل ...

ب- تحول قطاع من المقاومة إلى العمل السياسي، واستثمار رصيدها المقاوم في تحقيق بعض مطالبها؛ الأمر الذي يؤهلها للعب دور سياسي مستقبلي.

ج- تبلور التيار المقاوم في تنظيم أشد عنفًا يكون توجهه الأول ضد الحكومة المتعاونة "**صنيعة الاحتلال**"؛ والتي سوف تعتبره عدوها الأول وسيتحول الصراع على هذا النحو...

السيناريو الرابع: تسليم السيادة مع البقاء في قواعد عسكرية، وعبر اتفاقيات أمنية مع حكومة عراقية انتقالية متعاونة:

ويبدو أن هذا هو السيناريو الأكثر احتمالية؛ إذ تقوم قوات الاحتلال بتسليم السيادة إلى حكومة انتقالية متعاونة معه، وتسعى هذه الحكومة إلى إعادة تكوين مؤسسات الدولة المختلفة، ومحاولة عقد انتخابات ..إلخ، ولكن المهم في هذا الصدد أن هذه الحكومة -أو حتى حكومة ما بعد الانتخابات- ستقوم بعقد اتفاقيات أو حتى تحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية عسكريًا وأمنيًا؛ وبمقتضى ذلك

تنتقل القوات الأمريكية إلى مراكز معينة داخل العراق تعيد انتشارها فيه؛ الأمر الذي سيجعل أمام المقاومة العراقية عدة أمور منها:

1- تستمر عمليات المقاومة العسكرية ضد هذا الشكل الجديد للاحتلال عبر عمليات عسكرية نوعية سوف تتوقف على طبيعة التسليح المتوافر لديها؛ وهنا يمكن أن تتحول العمليات إلى رمزية تستهدف تحقيق مكاسب سياسية محددة.

2- تفرض طبيعة الأوضاع تحول المقاومة إلى رقم سياسي صعب في الساحة العراقية؛ الأمر الذي يدفع قوات الاحتلال إلى فتح حوار معها –وذلك عبر وسائط أو أطراف مثل هيئة العلماء المسلمين أو الحزب الإسلامي العراقي؛ لتحقيق بعض المطالب مقابل تهدئة الأوضاع؛ مما يدفع قطاعات من المقاومة إلى تحقيق بعض المكاسب التي تقوم على أساس موازين القوة على الأرض ..

والذي نخرج به في أن المقاومة العراقية كما كان مولدها مصاحبًا للاحتلال وأحد أهم تجلياته؛ فإن مستقبل الاحتلال مرهون باستمرارها، وتصاعدها، وكيفية استثمارها للفرص السياسية للتخلص من الاحتلال، وكل احتلال –كما تدل الخبرة التاريخية– إلى زوال، وكل مقاومة واقعًا إلى دولة واستقلال ...

الهوامش:

(1) راجع الدراسات التي تضع قضية "العدوان" و"الاحتلال" الأمريكي للعراق في سياقاتها الكلية السياسية، والاستراتيجية، والحضارية:

- طارق البشري، العرب في مواجهة العدوان، القاهرة: دار الشروق، 2003م وراجع كذلك عرضًا للكتاب في مطبوعة: حصاد الفكر، العدد (143)، فبراير 2004 ص 21-30.

- نادية مصطفى، وحسن نافعة (محرران)، العدوان على العراق: خريطة أزمة ومستقبل أمة، القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، 2003، وراجع كذلك عرضًا للكتاب في مطبوعة: حصاد الفكر، العدد (143)، فبراير 2004 ص ص 9-14.

- محمد الدوري، اللعبة انتهت: من الأمم المتحدة إلى العراق محتلاً (أجرى الحوار وقدم له جورج فرشخ)، بيروت: الدار البيضاء: المركز العربي الثقافي، 2004.

- محمد جمال باروت، عام على احتلال العراق (ملف): حول ندوة "احتلال العراق وتداعياته: عربيًا، واقليميًا، ودوليًا، المستقبل العربي: السنة (26)، العدد (302)، أبريل 2004 ص ص 34- 54. ومن الرؤي المقاربة لذلك في الكتابات الغربية راجع: –

- Marwan Al kabalan, Anglo- Saxonism and New Colonialism , Gulf News , 21- 12 - 2003

(2) حول التمييز بين الدلالات المختلفة لهذه المفاهيم من الناحية السياسية راجع الدراسات التالية:–

أ- بصدد مفهوم الإرهاب السياسي :Political terrorism ، وفي علاقته بحروب العصابات Insurgency

- Political terrorism ,Georgetown university library's guide to Research: Terrorism and insurgency Ref. HV6431. S349 1988
- Staffan Hansson, Dealing with terrorism and insurgency, http://infogettable.Netessays/antiterrorism-

وبعلاقة المفهومين بما يجري في العراق راجع:–

- Steven Metz, insurgency and counter insurgency in Iraq, The center for strategic and international studies and the Massachusetts institute of technology, the Washington Quarterly, winter 2003- 2004.

وفي علاقته بمفهوم "الأمن" و"المقاومة" راجع:–

- Points "project on the insurgency, Terrorism and security" insurgency –what's in a name? http://paladin–san- Francisco.com/ inindex.htm
- Militant Islam, http://www.Library.Georgetown.Edu/advisar.
- Iraqi Resistance, from Wikipedia, the free encyclopedia. http://en.Wikipedia.Org/wiki/Iraqi- resistance

(3) Ahmed. S. Hashim, The Sunni insurgency in Iraq, Middle East institute, http:// www. Mideasti.org/ articles. 19-5-2004.
(4) Ahmed .S. Hashim, op cit, pp. 3-6.
(5) Ibid, pp. 3-6

(6) المقاومة العراقية تكشف عن مقبرة جماعية لقوات الاحتلال الأمريكية، صحفية أخبار اليوم السودانية، 2004/5/10.

http://www.akbaralyoumsd.com

(7) قيادة المقاومة العراقية تدعو القوات الأمريكية للانسحاب نهائيًا من الفلوجة (العراق)، خدمة قدس برس، 2004/4/10.

http://www.abburaq.net

(8) تقرير، المقاومة العراقية تستعيد المبادرة وتتجاوز "المثلث السني"، جريدة العرب اليوم، 2003/12/28.

http://194.165.135.200/articles/previous/p.12.7.htm

(9) أحمد منيسى، المقاومة العراقية تدخل مرحلة جديدة (تحليلات عربية ودولية)، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، 2004.

http://www.ahram.org.eg/ahram/2001

(10) المرجع السابق وراجع أيضًا:

– محمد جمال عرفة، انتفاضة الصدر: الحلقة الشيعية في المقاومة العراقية تنشط، شئون سياسية، المنطقة العربية.

www.islamonline.net/arabic/politics/2004

(11) ذكر الناطق باسم هيئة العلماء المسلمين أنها لا تجيز اختطاف الرهائن وقتلهم –كأحد أساليب المقاومة– و لكن الجدير بالذكر أنها توسطت في الإفراج عن الكثير من الرهائن؛ كما هو الحال بصدد الرهائن اليابانيين والفلبينيين، وقد أصبحت الهيئة مقصدًا لكل من له قضية أو مشكلة "رهائن" أو مختطفين – كما سيأتي في هذه الدراسة.

(12) د.حامد عبد الماجد، مفهوم العصيان السياسي، (سلسلة المفاهيم السياسية) Islamonline.Net؛ حيث نتناول المفهوم باعتباره أحد أهم أشكال التعبير عن الرأي العام والإرادة الشعبية؛ سواء اتخذ المسلك السلمي أو الإكراهي والعنيف.

(13) تقدم لنا الخبرة التاريخية لمعظم الشعوب التي خضعت لموجات الاحتلال الاستعماري أنها قضت فترة من الزمن قبل أن تفيق من "صدمة" احتلال بلادها، وأن تعيد تنظيم صفوفها؛ من أجل مقاومة المحتلين، ومحاولة طردهم، ويذكر الرافعي أن مصر استغرقت فترة تزيد على ثلاثة عشر عامًا (أسماها فترة "الجفاف الوطني أو القومي") بعد سقوط مصر في براثن الاحتلال الإنجليزي، ولم تفق إلا على يد مصطفى كامل والحزب الوطني القديم؛ وكانت تلك بدايات المقاومة راجع:–

د. محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، القاهرة: دار التراث العربي، ج 2، 1982، ص ص 231 – 235 غير أن خبرة المقاومة في تطوراتها المستمرة والمتصاعدة غالبًا ما تستدعي في الذاكرة الأمريكية المقارنة بخبرة الحرب الفيتنامية راجع حول ذلك:

- Robert G Kaiser , Iraq isn't Vietnam but they rhyme ,Washington Post , 2-1 – 2004

(14) عبد الرحمن الهواري، نشأة المقاومة العراقية، مجلة السياسة الدولية، العدد (155)، السنة (39)، يناير 2004، ص 13-17.

(15) د.حامد عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، القاهرة: دار الجامعة للطباعة والنشر، (سلسلة الكتب الدراسية)، 2000، ط1، ص ص 145 – 146.

(16) عبد الإله بلقزيز، في المقاومة العراقية، جريدة الوطن السعودية، العدد (1304)، السنة الرابعة، 25 أبريل 2004.

(17) محمود شنب، صدام حسين والمقاومة المسلحة في العراق، http://www.souriana.com28.8.2003

(18) المرجع السابق ، ص ص 2 : 3

(19) راجع حول هذه القضية التالي:

– معتز محمد، المقاومة العراقية مستمرة رغم سقوط صدام حسين.

http://www.news.masrawy.com/masrawynews/6/2/2003/news.

– محمد المصري، المقاومة العراقية بدون صدام، قراءات صحفية

http://www.Islamtoday.net/articles/show10-05-2004.

– تقرير، متحدث باسم المقاومة العراقية يؤكد التصميم على مقاومة الاحتلال، وينفي أي صلة بالنظام المخلوع، جريدة الوطن ،11 أغسطس 2003، العدد (1046), السنة الثالثة.

http://www.Alwatam.com10-5-2004

(20) مثنى حارث الضاري، حول المقاومة العراقية للاحتلال (ملف) المقاومة، المستقبل العربي، العدد 303، مايو 2004، ص ص 80- 89 وكذلك للمقارنة راجع:-

– آمي ورتنجتون وآخرون، العراق: الغزو– الاحتلال– المقاومة: شهادات من خارج الوطن العربي، حصاد الفكر العدد 143, مارس 2004، ص ص 15 -22.

– توماس بيكرنج وآخرون، العراق بعد عام واحد، المستقبل العربي، السنة (26)، العدد (2003)، أبريل 2004، ص ص 6- 13.

(21) فقد أقنع هؤلاء المعارضين العراقيين الرئيس بوش وأركان إدارته بأن أغلبية أهل العراق (والشيعة خاصة) سيكونون من مؤيديهم عند الدخول. راجع حول ذلك:-

- Juan Cole, The Iraqi Shiites: On the history of America's would- be allies, Bosten Review, see site: http://www.Bostonreview.net/BR28.5 /cole. Html.

(22) باول يعرب عن دهشته لضرواة المقاومة العراقية, http://www.Albawaba.com.5.5.2004

(23) المرجع السابق، ص 12- 13

(24) سلمان الجميلي، المقاومة العراقية وملامح تشكيل الهوية، المستقبل العربي، العدد (303)، مايو 2004، ص ص 89- 111.

(25) مثنى حارث الضاري، مرجع سابق، ص84.

(26) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(27) من أمثلة هذه الكتابات راجع:-

- تقرير، هوية المقاومة العراقية، جريدة العرب اليوم، 2003/8/3.

- توفيق المديني، جريدة الراية القطرية، 2004/1/14.

- رفعت سيد أحمد، جريدة العرب اللندنية، 2003/10/16.

- عبد الكريم العلوجى، جريدة العربي الناصرية، 2003/11/16.

(28) Ahmed .S. Hashim, op cit, 2- 8.

(29) Ibid ,op cit , 8-18

بالطبع فإن هذه التوصيفات التي يطلقها الكاتب –الذي يحمل اسمًا عربيًا– حول منظمات المقاومة الوطنية في فلسطين وأنها تمارس "الإرهاب" وأعمال "حروب العصابات"؛ متسق مع الموقف الرسمي الأمريكي، ومع المؤسسة العسكرية التي يعمل في إحدى أكاديمياتها، وأبرز رموزها وزير الدفاع رامسفيلد.

(30) راجع هذه الدراسة فيما أوردناه بالمبحث الأول حول "The power of terminology"

(31) راجع حول ذلك:

- سلمان الجميلي، المقاومة العراقية وملامح تشكيل الهوية، مجلة المستقبل العربي، العدد (303)، 2004، ص 89.

(32) راجع حول ذلك:

سلمان الجميلي، المرجع السابق ، ص ص 90 – 91.

مثنى الضاري، المرجع السابق، وكذلك: د. لطفي يحي، ممن تتكون المقاومة العراقية.

http://www.arabtimes.com/latef/doc.8.html

(33) د. حامد عبد الماجد، ظاهرة الأفغان العرب ... نحو تحديد علمي للمفهوم، القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية (سلسلة أوراق بحثية 138)، 2001.

(34) راجع رؤي وتحليلات مختلفة حول هذه القضية في:-

- Esther Schrader, Ansar al Islam seen as key Threat, Economist intelligence unit (EIU views wire) Iraq: politics: News analysis, www.viewswire.com, 24oct., 2003.

- Jim Krane, Foreigner's Role in Iraq insurgency small, Guardian, Monday, May 3, 2004.

(35) هذه الدراسة الميدانية قام بها د. سلمان الجميلي –على النحو الذي قدمه في بحثه المنشور بالمستقبل العربي– واعتمدنا على أهم الاستخلاصات، والنتائج التي توصل إليها.

راجع حول ذلك:

د. سلمان الجميلي، مرجع سابق، 87-90.

(36) المرجع السابق، ص ص 89-90.

(37) Peace hopes up In battered falluja, http://English.Aljazeera.net

(38) د. عبد الإله الراوي، انتصر أهالي الفلوجة وأرغموا الولايات المتحدة للخضوع إلى مطالبهم؛ فكيف ستحل قضية الصدر وجيشه، جريدة القدس العربي، 2004/5/25.

(39) أفادت قيادة القوات الأمريكية –كالمعتاد– أنها ضربت موقعًا تابعًا للزرقاوي، وأتباع القاعدة نتيجة معلومات استخبارية وصلت إليها ...

(40) Esther Schrader, op cit, and see also:-

(41) - Muqtada al-sadr, http://en.Wikipedia.Org

(42) Jaish –i- Mahdi, http://en.wikipedia.org

(43) عبد الإله الراوي، مرجع سابق، ص 12.

(44) هناك قضية وإشكالية حقيقية؛ إذ إن فصائل المعارضة العراقية التي كانت تعيش بالخارج؛ (من بينها الحزب الإسلامي؛ والذي كانت قيادته موجودة كغيرها بلندن، والذي يمثل جماعة الإخوان المسلمين رسميًا) تعاونت مع قوات الاحتلال الأمريكي، ودخلت بالتالي مجلس الحكم الانتقالي، وكذلك الحكومة المؤقتة (والحزب الإسلامي العراقي –سواء القسم الكردي منه، أو القسم العربي السني تحديدًا– هو الذي تقصده)...

بينما انحاز الجسد الأساسي للجماعة –من الأفراد والقيادات الوسطي؛ الذين لم يخرجوا من العراق– للمقاومة، وانخرطوا في كافة تشكيلاتها العملية بقيادة هيئة العلماء المسلمين. ويمثل هذا الموقف إشكالية؛ إذ يعكس انقسامًا وتناقضًا فعليًا، ورغم أن الموقف الرسمي "المعلن" لقيادة الإخوان المسلمين العالمية ينحاز

في خطابه السياسي إلى جانب المقاومة؛ إلا أن الجماعة اعتبرت موقف قياداتها التي تعاونت مع المحتل "شأنًا داخليًا"، ولم تتخذ أي إجراء تنظيمي ضدهم؛ بسبب انتهاكهم لثوابت الجماعة الأساسية ومبادئها المعلنة؛ وهو أمر اتخذته في مواقف أخري أقل أهمية واستراتيجية؛ مما يعكس إشكالية داخلية حقيقية..

(45) تقرير، من هي المقاومة الإسلامية الوطنية (كتائب ثورة العشرين)، الأردن، جريدة السبيل.

http://www.assabeel.net

(46) د. أكرم عبد الرزاق المشهداني، الدور السياسي المؤمل لهيئة العلماء في العراق..، لندن: جريدة القدس العربي، 2004/5/10.

http://www.alquds.co.UK

(47) مقابلة علمية مع الشيخ حارث الضاري –رئيس هيئة العلماء المسلمين بالعراق، قطر: الجزيرة 2004/1/23.

(48) مثنى الضاري، مرجع سابق، ص ص 57- 58.

(49) د. حامد عبد الماجد، المشروع الإمبراطوري الأمريكي في العالم الإسلامي، مجلة المنار الجديد، العدد (25)، شتاء، يناير 2004، ص ص 10 – 34، وكذلك:

- د. حامد عبدالماجد ، الأبعاد الاستراتيجية لمقاومة الهيمنة الأمريكية، مجلة المنار الجديد، العدد (26)، ربيع، أبريل 2004، ص ص 19 – 35.

(50) مثنى الضاري، مرجع سابق، ص 86.

(51) جريدة الأسوار –العراق- 2003/8/10.

(52) جريدة السبيل-الأردن- 2004/2/9.

(53) Ahmed S. Hashim, op cit,

(54) مثنى الضاري، مرجع سابق، ص 89.

(55) المرجع السابق، ص ص 89- 90.

(56) نص البيان الموزع في بغداد 2003/7/2 وتضمنته دراسة د. سلمان الجميلي، مرجع سابق.

(57) مجلة أنصار السنة، عمان، يوليه 2003.

(58) سلمان الجميلي، مرجع سابق، ص 92.

(59) المرجع السابق، ص 93.

(60) تقرير، المقاومة العراقية تستعيد المبادرة وتتجاوز المثلث السني، جريدة العرب اليوم، 2003/12/28.

(61) راجع حول ذلك:

- إياد الويلمي، (تقرير)، المقاومة العراقية تنعش سوق السلاح: إقبال كبير على شراء وتوزيع الأسلحة في العراق مع تصاعد عمليات المقاومة ضد الاحتلال.

www.middle-east-online.com.27-4-2004

وكذلك تعدت التأثيرات خارج العراق ووصلت إلى فلسطين المحتلة راجع:-

- (تقرير)، ارتفاع أسهم شركات الحراسة الإسرائيلية بعد تصاعد المقاومة العراقية.

(59) http://www.alburaq.net/news/show.cfm?Vol=53

(62) راجع حول ذلك:-

- تقرير، الأعداء يعترفون بانتصار المقاومة العراقية

http://www.elmawkefalarabi.com/shownews.asp10-05-2004

- ياسر سعد، شكر المقاومة العراقية... واجب على الجميع،

http://www.kitabat.com/r20017.htm

(63) تقرير، المقاومة العراقية تكبد القوات الأمريكية ثمانية قتلى وتقتل 28 عراقيًا أثر هجمات في محيط بغداد، جريدة الرياض، العدد 13092، 25 أبريل 2004.

(64) تقرير، المقاومة العراقية: تفاصيل قتل الـ 17 قناصًا من الماريتز في الفلوجة 2004/4/28.

(65) تقرير، خلال 48 ساعة، المقاومة العراقية تسقط مروحيتين أمريكيتين.

http://www.Akhbaralyoumsd.com
10-05-2004.

(66) تقرير، قيادة المقاومة العراقية تدعو القوات الأمريكية للإنسحاب نهائيًا من الفلوجة، 2-5-2004.

http://www.alburaq.net/news/showcfm7Val=54245

- Robert Fisk in fallujah, Iraq on the brink of anarchy independent.co.uk.

(67) تقرير, البنتاجون يعترف بأسر المقاومة العراقية أحد الجنود الأمريكيين, 2004/4/17.

http://news.Masrawy.com/masrawynews

(68) تقرير، الحصاد الأسبوعي للمقاومة العراقية، 2003/8/9.

http://www.Souriana.com/modules.News/print

(69) مستقبل المقاومة العراقية 2/1

http://www.Islammemo.cc/taqrer

(70)سلمان الجميلي، مرجع سابق، ص 90، وراجع أيضًا: مثنى الضاري، مرجع سابق، ص 88.